الجمهوريـــــــــــــة الجزائرية الديمقراطيـــــــــــة الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التَّعليم العالي والبحـــــــــث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة 08ماي 1945 قالمــــة

كلية الآداب واللغــــــــات

قسم اللغة والأدب العربـــــي Des Langes

Langes Arabe

Université 08 mai 1945 Guelma

Faculté Des Lettres

Partement Lettres Est

بحث مقدم لنيل شهادة الماستـــر

في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

أزمة الهُويّة ودلالتها في رواية ما لا تذروه الرّياح لـمحمد العالي عرعار

إعداد الطَّالبة :

- سارة حرَّاثية

تاريخ المناقشة : 2018/06/26

أعضاء لجنة المناقشة

سهام بودروعة	رئيسا	أستاذ محاضر ب
راوية شـــاوي	مشرفا و مقررا	أستاذ مساعد أ
علي طـــرش	ممتحنا	أستاذ محاضر ب

السَّنة الجامعية :2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

«يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أتو العلم درجات،والله بما تعلمنون خبير »

و قال الله تعالى :

« اقرأ باسم ربّك الذي خَلَقَ (1) الإنسَّانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقرَأ و ربُّكَ الأكرم(3)

الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ(4) عَلَّمَ الإنْسَانَ ما لمْ يَعْلَمْ ».

دعاء : « ربي أهدي قَلْبِي،وتَقَبلْ جهدِي،وأجب دعوتي،وثبت

حجتي،وأحلل العقدة من لساني،وسَدَد قولي ».

– أمين يا رب العالمين –

شعر :

ذو العقلِ يشقى في النَّعيم بعقلِهِ ---- وأخو الجهالة في الشَّقاوة ينعم

شكـر و امتنـان

الحمد لله الذي يطيب بذكره ابتداء الكلام

وتفتح الأذهان،وتيسر الأعمال وتنجح المقاصد

والصلاة والسَّلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للأنام

جاءهم بالخير والعلم والإحسان،فعمت منه اللطائف والأفضال أما بعد:

أشكر الله عز وجل الذي بيده كل شيء الذي يقول:

"سبحانـــك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك العليم الحكيم"

فالحمد لله الذي وفقني في إتمام هذا العمل المتواضع.

وبعد الله سبحانه وتعالى لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بوافر شكري

وعظيم امتناني إلى من واكبت هذا العمل من كونه فكرة

حتى رأى النُّور متكاملاً ووفرت لي الوقت اللازم،وفتحت صدرها

لمناقشتي،وسددت خطواتي وأغنت بحثي بملاحظتها

القيمة،إلى التي أشعلت شمعة في دربي علمي،إلى من وقفت على المنابر

وأعطتني من حصيلة فكرها لتنير دربي إلى الأستاذة الفاضلة والكريمة "راوية شاوي"

التي تفضلت بإشرافها على هذا البحث فجزاها الله عني كل خير فلها مني

كل التَّقدير والاحترام.

كما أتوجه بجزيل شكري وامتناني إلى أستاذة قسم اللغة والأدب العربي .

كذلك أتقدم بالشُّكر والعرفان إلى كل من علمني حرف أو كلمة،إلى كل

من كان له الفضل إلى وصولي إلى هذه الدَّرجة من العلم وإلى من

ساعدني ولو بكلمة طيبة في سبيل إنجاز هذه المذكرة.

مقدمة

مقدمــة :

احتلّت الرِّواية الجزائرية على غرار المشرقية والعالمية مكانة كبيرة بين الأجناس الأدبية وأصبحت أكثر تطوراً؛إذ استطاع مؤلفوها النُّهوض بها وإخراجها من المحلية إلى العالمية لتعبيرها عن الواقع الإنساني (الجزائري) في مختلف تجلياته،وأصبحت بذلك الوعاء الذي يحوي القضية الجزائرية بكل معالمها وأبعادها،فوجد فيها الأديب الشَّكل الملائم للتَّعبير عن قضية شعبه وآلامه وآماله الكبيرة في تحقيق الحرية والاستقلال فصارت موضوعات الرِّواية الجزائرية متمحورة حول حياة الشَّعب الجزائري بمختلف فئاته وطبقاته وقضاياه وأشكاله،وفي مقدمة هذه القضايا قضية الهُويَّة الجزائرية التي حاول الاستعمار الفرنسي القضاء عليها،ويعد مصطلح الهُويَّة مصطلحًا عامًّا ومتداخلاً يصعب تحديده بتعريف ومفهوم معين،فهي كلمة معنوية مجردة تحتمل كل التَّأويلات من بينها أنّ الهُويَّة لها دورا بارزًا في حياة الإنسانية إذ أن وجوده مقترن بانتسابه إلى هُويَّة ما تمثل قاسمًا مشتركًا بينه وبين أبناء بلده كاللغة والعقيدة والعادات والثَّقافة وحتى الوعي بالحاضر الرَّاهن والمستقبل المنتظر،فبدون وجود هُويَّة تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض فلن تقوم قائمة لهذه الأمة،فبغيابها يسود التَّفكيك والضَّياع إذ سرعان ما يذوب أفراد هذه الأمة في هُويَّات أخرى أكثر قوة وهيمنة،وهذا تمامًا ما حدث مع الشَّعب الجزائري في زمن الاستعمار الظَّالم الذي سعى جاهدا إلى تحطيم معالم الشَّخصية الجزائرية والقضاء على الهُويَّة الجزائرية العربية الإسلامية ومحو الثَّقافة الجزائرية واللغة العربية،وغرس في أذهان الجزائريين أسس الهُويَّة الفرنسية من لغة وثقافة فنجحت سياسته إلى حد ما،وانبهر القليل من الجزائريين بالثَّقافة الفرنسية وتخلوا عن هُويتهم وأصالتهم وجذورهم،وتنكروا لأبناء جلدتهم وأهلهم،ولكن سرعان ما أدركوا أن بتخليهم عن هُويَّتهم وارتدائهم ملابس الحضارة الغربية يتسبب لهم في نوع من الصِّراع الدَّاخلي والتَّشتت والضَّياع،ويحسون أنهم أقل قيمة ومكانة من الفرنسيين الذين فضلوهم على أبناء وطنهم ومنبوذين من قبل الجزائريين لأنهم تخلوا عنهم وتنكروا لهم واحتقروهم ونتيجة هذا الإحساس الأليم يتعرضون لما يعرف بأزمة الهُويَّة،وهذا ما أرادت تسليط عليه الضَّوء في بحثي المعنون بـ: أزمة الهُويَّة ودلالتها في رواية ما لا تذروه الرِّياح لمحمد العالي عرعار،وقد اخترت البحث في هذا الموضوع لعدة أسباب من بينها رغبتي الشَّديدة في دراسة جنس الرِّواية الجزائرية وإعادة إحياء التَّاريخ الجزائري ووقائع الثَّورة التَّحريرية،وكشف العناصر التي تخلت عن هُويَّتها وأصالتها وانبهرت بثقافة وحضارة الآخر الذي كان سببًا في تعاستها ودمارها وتأكيدًا للقارئ أن الإنسان إذا تخلى عن هُويَّته وأصله سوف يعيش نوعا من الأزمة والضَّياع اللذان يدفعانه في الأخير إلى الرُّجوع والارتماء في حضن الوطن وكله خيبة ويأسًا وأملاً في سماح الأهل والأحباب له واعتراف الوطن به ولتأكيد أهمية تمسك الفرد بهُويَّته وعدم تخليه عن وطنه ورفض ثقافة الآخر ولتوضيح الآثار السّلبية النَّاتجة عن تخلي الفرد عن أصله كان لا بد من

الإجابة عن الإشكالية الأساسية:كيف تجلت أزمة الهُويَّة في الرِّواية،وما دلالتها؟ لتتفرع عن هذه الإشكالية الرَّئيسية مجموعة من التَّساؤلات الفرعية:

1- ما الهُويَّة؟ وما أسسها؟

2- ما هي العوامل التي تساهم في حدوث مشكلة في هُويَّة الفرد؟

3- ما هي الأسباب التي تدفع الفرد للتخلي عن هُويَّته؟

5- ما هي الأسباب التي تساهم في عودة الوعي للفرد الذي تخلى عن هُويَّته الأصلية؟

6- كيف تجلّت نظرة الآخر (الفرنسي) للجزائري،وبدورها كيف تجلّت نظرة الجزائري للآخر (الفرنسي) ؟

تمكنني الإجابة عن هذه الأسئلة من البحث في ثنايا الشَّخصية الجزائرية التي ملّت من الأوضاع المزرية،لكنها سرعان ما تعود إلى رشدها وتقبل أنّ الأوطان تنمو وتزدهر بأهلها،وليس بمن تخلّوا عنها،علمًا أنّ رواية ما لا تذروه الرِّياح من البواكير الأولى للرِّواية الجزائرية والتي لم تلق حظّها الوافر من الدِّراسة والبحث رغم موضوعها الشَّائك والمهمّ،وهذا من الأسباب أيضا التي دفعتني للبحث في هذا الموضوع. وللإجابة عن الإشكالية المطروحة كان لا بدَّ من وضع خطَّة منهجية تساعدني في القيام بهذا البحث،وقد اقتضت المنهجية أن أقسمه إلى مقدمة،ومدخل،وفصلين،وخاتمة،وملحق.

إذ تطرقت في المقدمة إلى تمهيد عام في الموضوع مع طرح الإشكالية والهدف من البحث والخطة والمنهج المعتمدين في الدِّراسة مع ذكر بعض المصادر المعتمدة والصُّعوبات التي اعترضت مسار البحث،ومدخل معنون بـ الرِّواية العربية:النَّشأة والتَّطور وتضمن تمهيد وثلاثة عناوين،مفهوم الرِّواية ونشأة الرِّواية العربية ونشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية واللغة الفرنسية.

وفصل أول بعنوان:مفاهيم الهُويَّة وتناولته في أربعة عناوين:ماهية الهُويَّة،تطور مفهوم الهُويَّة،أسس الهُويَّة،العوامل المساهمة في حدوث مشكلة في هُويَّة الفرد:ثنائية الأنا والآخر.

وفصل ثاني بعنوان :تجليات أزمة الهُويَّة في رواية ما لا تذروه الرِّياح ولقد ركزتُ في هذا الفصل على مجموعة من النِّقاط من خلال دراستي للرِّواية،ومن عناوين هذا الفصل ما يلي :

تمهيد عام عن الرِّواية محل الدِّراسة،ملخص الرِّواية،الشَّخصية البطلة وتنصلها للهُويَّة الجزائرية حدوث أزمة الهُويَّة عند الشَّخصية البطلة،عودة الوعي للشَّخصية البطلة،بين الأنا والآخر،تمثل الهُويَّة الجزائرية في الرِّواية.

وبعدها وضعت خاتمة تطرقت فيها لأهم النَّتائج التي خلصت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع،وفي الأخير ملحقا عبارة عن لمحة عن الرِّوائي محمد العالي عرعار ومؤلفاته.

أما فيما يخص الدِّراسات السَّابقة في حدود اطلاعي وبحثي لموضوع الهُوية وروايَّة مالا تذروه الرِّياح نجد:

– سرد الهُوية في رواية مملكة الفراشة لـ واسيني الأعرج من إعداد الطَّالبة سمية رمضاني.

– ملامح الهُوية في السِّينما الجزائرية من إعداد الطَّالب مولاي أحمد.

– الثَّورة في الرِّواية الجزائرية رواية مالا تذروه الرِّياح لـ محمد العالي عرعار أنموذجا من إعداد الطَّالبة خلف الله هاجر.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقوم بدراسة نقدية تحليلية للوصول إلى نتائج مرضية معتمدة على عدة مراجع ومصادر خدمت البحث وأصّلت له من بينها.

1– رواية ما لا تذروه الرِّياح لمحمد العالي عرعار.

2– السُّؤال عن الهُويَّة في التَّأسيس والنَّقد والمستقبل لمصطفى بن تمسك وآخرون.

3– سوسيولوجيا الثَّقافة والهُويَّة لهارلمس وهولبورن ترجمة حاتم حميد محسن.

4–الهُويَّة العربية والأمن اللغوي لعبد السَّلام المسدي.

5– الرِّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام لمحمد مصايف.

6– دراسات في الرِّواية الجزائرية لمصطفى فاسي.

7– الهُويَّة وقضاياها في الوعي العربي المعاصر لأحمد بلعبكي وآخرون.

إلى غير ذلك من المصادر والمراجع التي كانت المنبع الرَّئيسي للمعومات التي تضمنها البحث والتي استفدت منها كثيرا ومن نصائح الأستاذة المشرفة وتوجيهاتها أيضا لإتمام هذا البحث المتواضع.

ولكل بحث علمي أكاديمي صعوبات تعترضه،لذا واجهتني مجموعة صعوبات أهمها شساعة الموضوع وخاصة مفهوم الهُويَّة،إضافة إلى قلة الدِّراسات حول الرِّواية مصدر البحث ولكن بعون الله استطعت التَّغلب على هذه الصُّعوبات وذلك بالدِّراسة والبحث.

مدخل

الرواية العربية ،النشأة و التطور

- تمهيد

1- مفهوم الرِّواية.

2- نشأة الرِّواية العربية.

أ- الرِّواية في مصر.

ب- الرِّواية في تونس.

ج-الرِّواية في المغرب الأقصى.

د-الرَّواية في ليبيا.

3-نشأة الرِّواية الجزائرية.

أ- الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية.

ب- الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

تمهيد:

إن جنس الرِّواية لم يمض على ظهوره أكثر من ثلاثة قرون في العالم الغربي ولا أكثر من قرن ونصف قرن في العالم العربي وقد وصف هذا النَّوع على أنه يوفق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنينه الدَّائم إلى الخيال وما بين غنى الحقيقة وجموح الخيال،ولقد احتلت الرِّواية موقعًا متميزًا في الأدب العربي إذ استطاع هذا الجنس الأدبي خلال مدة زمنية قصيرة أن يتوسع إلى حد أصبح ينافس فن الشِّعر الذي كان طوال تاريخ الأدب يحتل الصَّدارة ولا يمكن أن يضاهيه أي جنس أدبي آخر،وأكبر دليل على مكانة الرِّواية الواسعة الشُّهرة التي يحظى بها الرِّوائيون العرب بين متذوقين الأدب من القراء في العالم والأعداد الهائلة من النُّسخ التي تطبع في كل رواية لهؤلاء؛إذ نجد أن الرِّوائيين قد تفوقوا بشكل كبير في قدرتهم على الانطلاق من المستوى المحلي والعربي إلى المستوى العالمي وهذا ما لم يستطع تحقيقه الشُّعراء،ولقد كان للرِّواية خصائص نوعية تسهل عملية نقلها وترجمتها إلى العديد من اللغات،حيث ترجمت أعداد كبيرة من الرِّوايات العربية إلى مختلف لغات العالم الحية[1] .

وعليه فباعتبار المكانة البارزة التي احتلتها الرِّواية فلقد حاول العديد من الباحثين وضع مفهوم لها، ومحاولة رصد مراحل نشأتها في مختلف الأقطار العربية تقريبا.

1- ينظر محمد هادي مرادي وآخرون ، لمحة عن ظهور الرِّواية العربية وتطورها ، دراسات الأدب المعاصر، السَّنة الرَّابعة ، شتاء 1391، العدد 16 ، ص 02.

1- مفهوم الرِّواية:

هناك العديد من المفاهيم التي تصب في مفهوم الرِّواية إذ نجد **عبد المالك مرتاض** يعرفها بقوله «**نقل الرَّاوي لحديث محكي تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية،تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشَّخصيات والزَّمان والمكان والحدث يربط بينها طائفة من التِّقنيات كالسَّرد والوصف والحبكة والصِّراع وهي سيرة تشبه التَّركيب بالقيامة إلى المصور السِّينمائي بحيث تظهر هذه الشَّخصيات من أجل أن تتصارع طورا وتتحاب طورا آخر،لينتهي النَّص إلى نهاية موسومة بدقة متناهية وعناية شديدة** »[1].

فالرِّواية فن من فنون الأدب النَّثري تشتمل على قواعد فنية،وتقنيات تميزها من بينها السَّرد والوصف،فهي ملتقى مختلف الأجناس الأدبية وتحوي عناصر متعددة إذ «**تتميز عن سائر الأجناس الأدبية في أنها مزيج من تقنيات أدبية يستخدمها الكاتب بدون قيد أو شرط[.....] وتحتوي الرِّواية عناصر متعددة من الرومانس والملحمة والشِّعر والكوميديا والتّراجيديا والمسرحية بشكل عام** »[2].

فالرِّواية تعتبر المرآة العاكسة للمجتمع فهي تعبر بصدق عن الواقع المعاش إذ تعتبر «**كلية شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع وتفسح مكانا لتعايش فيه الأنواع والأساليب،كما يتضمن المجتمع الجماعات والطَّبقات المتعارضة**»[3] فهي ذلك الشَّكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع،مادتها إنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد مدفوعا برغباته

1- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرِّواية ، بحث في تقنيات السَّرد ، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1998 ، ص1.24

2- محمد شاهين ، آفاق الرِّواية (البنية و المؤثرات) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، د ط ، 2001 ، ص09.

3- صالح مفقودة ، أبحاث في الرِّواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والآدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة الجزائر ، ص02.

ومثله ضد الآخرين وربما ضد مثلهم أيضا،وينتج عن صراع الإنسان هذا أن يخرج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية.[1]

فالرِّواية هي نوع من الأنواع الأدبية تقوم على السَّرد،فهي فن نثري طويل تضم شخصيات منها الرَّئيسية وأخرى ثانوية،وزمان ومكان وحبكة،تعالج موضوع معين تربطها وقائع أحداث متداخلة كما تعالج العديد من القضايا التي يعيشها الإنسان في الواقع.

– عبد الرَّحيم محمد عبد الرَّحيم ، دراسات في الرِّواية العربية ، دار الحقيقة للإعلام الدُّولي ، ط1 ، 1990 ، ص1.03

2- نشأة الرِّواية العربية:

تعد مصر من أولى البلدان العربية التي ظهرت فيها الرِّواية العربية،حيث كانت «**رائدة في هذا الميدان حيث استطاعت تنتبه إلى هذا الفن الجديد ثم نبهت إلى ضرورة خلق مثله في مصر والعالم العربي** »[1] كما نجد مجموعة من الرِّوائيين يتزايد عددهم سنة بعد أخرى حيث أصبحت مصر خلال الفترة الممتدة من الحرب العالمية الأولى وحتى وقت متأخر المركز الأهم والأكثر تأثيرا على تطور الرِّواية العربية [2] إذ كان لها دور فعال في نشأة الرِّواية حيث «**أثرت في نشأة هذا الجنس الأدبي سوى في درجة التَّأثر بالغرب أو التَّأثير في الأقطار العربية** »[3] وهناك من يحدد البداية الفعلية للرِّواية العربية سنة **1911** عند صدور رواية **زينب لحسين هيكل** إذ تعتبر قفزة نوعية في مسار الرِّواية العربية،فبظهورها أصبح هذا الجنس الأدبي نوعًا أدبيًا قائمًا بذاته وبهذا استطاعت الرِّواية أن تتخلص مما كان يشوبها من حيث اللغة أو من ناحية الموضوعات وأخذت تغنى وتتنوع وبمجيء ثورة 1919 كانت مصر تشهد العديد من المحاولات الأخرى للرِّواية وتمثل ذلك في **حديث عيسى بن هشام للمويلحي** و**ليالي سطيح لحافظ إبراهيم** وهذا بدون تأثير من الشَّام باعتبار أن الكثير من الكتاب في **مصر** كانوا متأثرين في هذا النَّوع الأدبي بالمهاجرين من **الشَّام** باعتبار أن الكثير من الكتاب في **مصر** كانوا متأثرين في هذا النَّوع الأدبي بالمهاجرين من **الشَّام** إلى **مصر** من أمثال هؤلاء نجد **عبد الله نديم** و**علي مبارك** في قصصه **علم الدِّين** .

ومما يمكن ملاحظته هنا هو أن الرِّواية منذ نشأتها الأولى كانت تنتمي إلى الاتجاه القومي وتمتزج به،كما كانت تنتمي إلى التُّراث العربي[4].

- السَّعيد الورقي ، اتجاهات الرِّواية العربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د ط ،1997 ، ص1.15
- ينظر : محمد هادي مرادي وآخرون ، لمحة عن ظهور الرِّواية العربية وتطورها ، مرجع سابق ، ص2.09
- م ن ، ص3.04
- ينظر: م ن ، ص07 ،08 ،4.10

فهناك الكثير من الباحثين يرجع فن الرِّواية إلى أصول عربية إذ عرف هذا الفن الأدبي انطلاقا مما جاء مبثوثا في كتب **الجاحظ** و**ابن المقفع** و**بديع الزَّمان الهمذاني والحريري** غير أنه هناك من يرى بأن جنس الرِّواية ظهر نتيجة الاتصال بالغرب[1].

أما بخصوص الرِّواية في المغرب العربي فإنها حديثة الظُّهور،إلا أن هذا التَّأخر كان نسبيا لأنها سرعان ما بدأت في التَّطور،فظهرت الرِّواية في تونس والتي حدد لظهورها مرحلتين الأولى تتحدد زمنيًا مع أواخر الثَّلاثينيات ومطلع الأربعينيات من القرن العشرين وتتمثل هذه البداية في أعمال **المسعدي** في رواية **أحاديث أبي هريرة** ولكنها لم تنشر كاملة في شكل رواية إلا في عام 1973،أما البداية الثَّانية لها فترجع إلى نهاية السّتينات وتتمثل في رواية **الدَّقلة في عراجينها لبشير خريف**[2].

كما ظهرت الرِّواية أيضا في المغرب الأقصى فتمتد من بداية العشرينات وحتى الثَّلاثينات وتطلق على هذه الفترة بالمرحلة التَّربوية الأخلاقية والتي تميزت بسيادة الفكر الوعظي وسلطة الأخلاق على الأدبي وهيمنة السَّرد المقالي وخطاب الفكر المنطق على الخطاب الرِّوائي الذي كان يتأسس بصعوبة في حظرت الخطاب الشِّعري الكلاسيكي وفي هذه المرحلة أي في هذه الفترة نشر **محمد الموقت** كتاب **الرِّحلة المراكشية** سنة 1924 دون أن يدرك أنه بذلك يضع الحجرة الأولى لهرم أدبي كبير يدعى الرِّواية،فأهمية هذه الرِّواية أو المحاولة تكمن في أنها استطاعت أن تبدأ لعبة السَّرد الأدبي المتخيل وبعدها نجد أيضا رواية **انتصار الحق بالباطل** عام 1933 للأديب **عبد الخالق الطربسي**،ولقد اعتبر هذا العمل بمثابة قفزة نوعية نحو النَّثرية الرِّوائية وهو وعي أدبي جديد لم يصل لجنس الرِّواية إلا أنه كان يمشي نحوها[3].

كما ظهرت سنة 1957 رواية **في الطُّفولة لعبد المجيد جلول** ومما يلفت للانتباه ويمكن ملاحظته على الرِّواية المغربية أنها في مرحلة نشأتها انطلقت من تناول موضوعين أساسيين هما السِّيرة

- ينظر: صالح مفقودة ، أبحاث في الرِّواية العربية ، مرجع سابق ، ص1.10

- ينظر : م ن ، ص2.13

3- ينظر : أمين الزَّاوي ، عودة الانتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، النَّايا للدراسات والنَّشر والتَّوزيع ، دمشق ، سوريا ،ط1 2009 ، ص 54 ، 55.

الذَّاتية والرُّجوع إلى التَّاريخ إلا أن الرِّواية المغربية بعد 1957 وبداية السِّتينات عرفت تطورًا في الكم والكيف إذ ظهرت روايات أخرى من بينها رواية **ضحايا الحب** و**أمطار الرَّحمة** و**بوتقة الحياة** إلى غير ذلك من الأعمال الرِّوائية.[1]

بينما الرِّواية في ليبيا قد شهدت انطلاقة مع بداية السِتينات وتمثل ذلك في **قصة أقوى من الحرب** عام 1962 و**اعترافات إنسان** سنة 1961 **لمحمد فريد** و**غروب بلا شروق** عام 1968 إلا أن هذه الأعمال تبقى مجرد بدايات لأن البداية الحقة كانت مع بداية السَّتينات والثَّمنينيات من القرن العشرين.[2]

- ينظر : صالح مفقودة ، أبحاث في الرِّواية العربية ، مرجع سابق ، ص1.14
- ينظر : م ن ، ص2.15

3- نشأة الرِّواية الجزائرية :

أ- نشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية :

يختلف الواقع الأدبي والثَّقافي في الجزائر عن باقي الأقطار العربية،لهذا ظهرت الرِّواية في الجزائر تختلف نوعًا ما عن باقي الرِّوايات العربية «**يبدو الواقع الثَّقافي والأدبي في الجزائر معقدا يحمل خصوصيات تميزه عن باقي دول المغرب العربي،فالجذور التَّاريخية للرّواية الجزائرية يجب البحث عنها في مرجعين تاريخيين مختلفين يلتقيان في محاورتهما الواقع نفسه ويختلفان في وسيلة التّعبير وفي المرجعية الأدبية لكل منهما،فالرّواية باللغة العربية حديثة العهد أولا ومشرقية النّشأة والانتماء ثانيا** » [1].

الرِّواية في الجزائر جنس أدبي حديث العهدة متأثرة بالرِّواية المشرقية في نشأتها؛إذ ظهرت في الجزائر العديد من الرِّوايات فهناك من يرى بأن **حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد مصطفى بن إبراهيم في عام** 1849 أول عمل روائي،غير أن اتسام هذا العمل بالضُّعف اللغوي والتّقني جعله لا يعد أولى الأعمال الرِّوائية على مستوى الوطن العربي[2] في حين هناك من يرى أن أول عمل روائي ظهر في الجزائر قام به **أحمد رضا حوحو** الذي يعد رائد الرِّواية الجزائرية باللغة العربية حيث مارس الفنون النّثرية بأنواعها المختلفة و نعتقد أن معرفة **حوحو** باللغة الفرنسية هو الذي فتح له مجال التَّجريب في فن الرِّواية في وقت مبكر جدًا ودعَا إلى تشجيعه،وتعود أهميته في تاريخ الرِّواية الجزائرية بالعربية إلى **غادة أم القرى** التي كتبت في منتصف الثَّلاثينيات ولم تنشر إلا بعد الحرب العالمية الثَّانية وبالتَّدقيق عام 1947 في تونس،إذ كانت أحداث هذه الرِّواية تجري في الحجاز حيث الصُّورة التي وضعها الكاتب لواقع المرأة المزري ظاهرة يشترك فيها العالميان العربي والإسلامي[3]وقد قيل بخصوص

- أمين الزاوي ، عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، مرجع سابق ، ص1.41

2- أحلام معمري ، نشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، مجلة الأثير ، العدد 20 ، الجزائر ، جوان 2014 ، ص57 ، نقلا عن : عمر بن قينة ، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطَّويلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ،1986 ، ص50.

- ينظر: أمين الزَّاوي ، عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، مرجع سابق ، ص3.42

الطَّريقة التي كتبت بها هذه الرِّواية أنها «**الطَّريقة الكلاسيكية المأخوذة من الفكر الأرسطي القديم الذي يرى أن الحركة الدّرامية ينبغي أن تكون لها بداية (عرض) ونقطة وسطى (عقدة) ونهاية(حل) »** [1].

وظهرت أيضا في فترة الخمسينيات رواية **الطَّالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي** التي صدرت سنة 1951 إذ تعالج الرِّواية من خلال الاتكاء على السِّيرة الذَّاتية للكاتب نفسه،واقع المثقفين الجزائريين في تونس وما عانوه من متاعب في سبيل تحصيل العلم والاندماج في المجتمع التُّونسي ولكن هذا الطَّرح لا يخرج في بنيته الأسلوبية والفكرية عن النَّزعة الوعظية الخطابية المباشرة التي تعكس المفهوم الزيتوني الإصلاحي لوظيفة الفن بشكل عام و الرِّواية بشكل خاص[2]ونظر لهذه الرِّواية بأنها «**نموذجا للسَّذاجة الفكرية سواء أكان ذلك في مستوياته البنائية أو الشَّخصية أو في عقدته وأحداثه وهو مثقل بالتَّصريحات اللغوية والأفكار المثالية »** [3] .

ومن بين الرِّوايات التي ظهرت في الخمسينيات **رواية الحريق** عام1957 **لنور الدِّين بوجدرة** إذ أن هناك من يرى أن هذا النَّص أكثر تطورا من النّصين الرّوائيين السَّابقين **غادة أم القرى** و**الطَّالب المنكوب** .

وبعد فترة الخمسينيات تلتها فترة السِّتينيات زمن الاستقلال والحرية؛حيث اهتم الجزائريون بالبناء والتَّشييد لاسترجاع ما دمره الاستعمار المستبد أثناء احتلاله للجزائر ودليل ذلك أننا لم نعثر في هذه الفترة على عمل روائي باللغة العربية إلا على عمل واحد وهو **صوت الغرام لمحمد منيع** [4]

- أحلام معمري ، نشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، مرجع سابق ، ص1.58
- أمين الزَّاوي ، عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، مرجع سابق ، ص2.45
- أحلام معمري ، نشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، مرجع سابق ، ص3.58
- م ن ، ص4.59

إذ تعد هذه الرِّواية بمثابة قفزة نوعية متقدمة على الأعمال التي سبقتها فقيل عنها أن:«**كاتبها قد حاول ونجح في تقديم تشكيل روائي مقبول إلى حد ما يتجاوز ما جاء في أعمال رضا حوحو وعبد المجيد الشَّافعي ولكنه مقابل ذلك يقف دون إنجازات وطار وابن هدوقة »** [1]

يرى العديد من الباحثين أن الرِّواية الجزائرية العربية تونسية المنبت والمحيط والنَّشر والقراء ويرجع ذلك إلى وجود المثقفين الجزائريين بالعربية في تونس وقد جاؤا هؤلاء إلى تونس بحثا عن الحرف العربي وذلك لأنه مهدد في الجزائر،وإن انصهار الكتَّاب في الحياة التُّونسية جعل كتاباتهم تتشابه والكتابة الرِّوائية التُّونسية في الموضوعات الاجتماعية قبل اندلاع الثَّورة التَّحريرية التي ستغير من موضوعات الكتابة،لتجعل من نفسها رواية وظيفية تخدم الثَّورة التَّحريرية التي بدأت سنة 1954.[2]

ومما يمكن ملاحظته على الرِّوايات التي سبقت فترة السَّبعينات أنها مجرد محاولات لم تكتمل فنيًا حيث أن الدَّارس لها يرى:

«سيطرة المضامين الانفعالية التي تمجد الأحاسيس السَّطحية ولا أي كاتب أو ناقد أثار مثلا مسألة الشَّكل الفني أو الجوانب الجمالية للنَّص التي تشغل فضاءه بالبرق وتقدم له صيانة فنية متفرقة ومنسجمة » [3].

فالفن الرّوائي في فترة السَّبعينات شهد تطورًا و تنوعًا لم يعرف له مثيل من قَبَل **«قد جسدت بداية السَّبعينات المرحلة الفعلية التي شهدت الفترة الحقيقية للنُّهوض الرّوائي الفني في الجزائر حيث ظهرت عدة أعمال روائية مثل ما لا تذروه الرّياح،وريح الجنوب واللاز إضافة إلى رواية أخرى ذات أهمية متميزة وهي الزّلزال »**[4]ومن الرِّوائيين الذين مثلوا فترة السَّبعينات بأعمالهم الرِّوائية نجد منهم: **عبد الحميد بن هدوقة** و**الطاهر وطار** و**رشيد بوجدرة.**

- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرِّواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، د ط ،1986 ، ص1.130
- م ن ، ص2.130
- أحلام معمري ، نشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، مرجع سابق ، ص3.60
- أحلام معمري ، نشأة الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، مرجع سابق ، ص4.60

هناك من يرى أن الرِّواية الجزائرية بالعربية بدأت بداية كلاسيكية **فعبد الحميد بن هدوقة** من خلال **ريح الجنوب** حقق الإرساء الثَّاني للإنشاء الرِّوائي بعد تجربة **أحمد رضا حوحو** مع احتفاظ الرِّواية بالمبنى الحكائي التَّقليدي إلا أنها استطاعت ربط النَّص بعناصر اجتماعية أبرزها مرحلة الاستقلال وخاصة عالم الرِّيف الذي ظل **ابن هدوقة** مرتبطًا به ارتباطًا صادقًا،حتى كدنا نميز داخل نصه نثرًا ريفيًا،غير أن ظِل الثَّورة غير بارز في **ريح الجنوب**،فإن **اللاز للطاهر وطَّار** ستتحمل مسؤولية إعادة قراءة التَّاريخ الوطني محللا عناصر الصِّراع بين المستعمَر والمستعمِر[1].

وعليه نجد إن كل من **جيل وطَّار وابن هدوقة** قد أدى واجبه في لعبة التَّحدي[.....]فإن تجربة **رشيد بوجدرة** باللغة العربية من خلال رواية **التَّفكيك** و**الميراث** و**ليليات امرأة آرق** و**معركة الزّقاق** وكذا تجربة **خلاص الجيلالي** في **رائحة الكلب** و**حمام الشَّفق** و**ذاكرة الجنون** و**الانتحار لحميدة عياشي** تميزت برؤية أكثر تطورًا وارتباطا بالتَّاريخ والواقع وبالمنجزات الرِّوائية العربية والعالمية[2].

تغيرت نظرة الباحثين والدَّارسين في المشرق والجزائر إلى الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية؛حيث بعدما كان ينظر إليها نظرة مليئة بالشَّفقة والدَّعم العاطفي باعتبارها هشة تحتاج إلى المؤزرة فأصبحت تنتزع الإعجاب والتَّقدير وذلك بهيمنتها على باقي الأجناس الأدبية في الجزائر،فتصدرت مجال البحوث النَّقدية وهذه النَّظرة الإيجابية للرِّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية كانت بعد فترة السَّبعينات التي عرفت عدد غفير من الرِّوائيين.

ب– الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

لم تظهر في الجزائر إلا الرِّواية المكتوبة باللغة العربية بل ظهرت أيضا الرِّواية المكتوبة باللغة الفرنسية وذلك راجع إلى وجود الاستعمار في الجزائر،وفرض لغته على أدبائها ومثقفيها،فالرِّواية باللغة الفرنسية «**عريقة وتعود أول محاولة لها إلى نهاية القرن الماضي[...]وقد مرت تقريبًا في تاريخها بكل**

– ينظر : أمين الزَّاوي ، عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، مرجع سابق ، ص1.52

– م ن ، ص2.54

المراحل التي عرفتها الرّواية الأوربية لأنها تنمو في حضور أدب الآخر(مقلدة له أو ناقدة إياه) »[1].

اتجه الأدباء والرّوائيون الجزائريون للكتابة باللغة الفرنسية إثر الظُّروف القاسية التي فرضتها فرنسا فحرمتهم من التَّعبير بلغتهم الأصلية،وبرزت العديد من الرِّوايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إذ «**يؤرخ لأول قصة قصيرة كتبها جزائري ذلك سنة 1891 والقاص هو محمد بن رحال تحت انتقام الشِّيخ La Vengeanc Du Cheikh وقد نشرت هذه القصة في المجلة الجزائرية الفرنسية الأدبية والفنية في العدد الثَّالث (26سبتمبرو 3أكتوبر 1891) أما أول سلسلة من القصص والتي يمكن أن تشكل رواية قصيرة ولكنها لم تجمع في كتاب فكانت 1912[.....]من توقيع أحمد بوري تحت عنوان مسلمون ومسيحيون »** [2].

إضافة إلى ذلك نجد **شكري خوجة** في **روايته المأمون** 1928 إذ يتساءل البطل المأمون قائلا : «**تمتلك فرنسا حقوقا علي وأنا أشعر برغبة غامضة في أن أقدم شيئا يفيدها [.....]وأنا العربي لي هدف رائع أن أجده هي فكرة الوطن التي تنفتح بداخلي »** [3]ويبدو من خلال هذا المقطع أن هناك فئة من الكتاب يحملون نوعًا من الود والشَّغف لفرنسا.

لم يكتب الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية عن طيب خاطر منهم بل «**كان الكتَّاب الجزائريون الذين كتبوا باللغة الفرنسية ونهلوا من مصادر الثَّقافة الفرنسية نتاج ظروف تاريخية محكمة عايشتها الجزائر وكانت الثَّقافة الوحيدة المسموح بها آنذاك هي الثَّقافة الفرنسية »** [4].

– أمين الزَّاوي ، عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، مرجع سابق ، ص1.41

2– جبور أم الخير ، الرِّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية ، أطروحة لنيل شهادة الدُّكتوراء في النَّقد الأدبي الحديث كلية الأدب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة وهران ، 2011؟2010 ، ص34.

– م ن ، ص3.36

– جبور أم الخير ، الرِّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية ، مرجع سابق ، ص4.51

ومن بين الرِّوايات التي ظهرت في فترة العشرينيات والثَّلاثينيات نجد روايات **بو الأنوار** الشَّاب الجزائري 1924 **لربيع زناتي و زهرة زوجة المنجمين 1925 لحاج حمو عبد القادر ورواية أحمد بن مصطفى الخيال 1920 لقايد بن شريف ورواية مريم بنت النَّخيل 1936 لمحمد ولد الشيخ**[1] .

وقيل في ما يخص هذه الرِّوايات أنها **«ليست نصوصا ذات نوعية أدبية عظيمة رغم ما فيها من تشويق ودسائس ساذجة ومركبة بحس فلكلوري فهي ملتزمة على صعيد الشَّكل بمميزات الرِّواية الكولونيالية:ضعف في الحبكة والفقر السِّيكولوجي للشَّخصيات،وتذوق الوصف الدَّخيل »** [2].

أما إذا ما التفتنا إلى الكتابة النِّسائية نجد **ماري لويس عمروش Marie Louise Amrouche «كأول روائية جزائرية بإصدار اليَّاقوتة السَّوداء سنة 1947 وهي من إصدار دار شارلو Charlot،كتب طاوس عمروش هذه الرِّواية بين سنتي 1937-1935 لكنها لم تنشر إلا بعد 10 سنوات من ذلك التَّاريخ والتي أصدرت في نفس السَّنة رواية ليلى الشَّابة الجزائرية Leila Jeune Fille »**[3].

من هذه الرِّوايات يمكننا الاستنتاج أيضا أن الأدب الجزائري عامة والرِّواية الجزائرية خاصة عبارة عن مرآة للواقع .

كما صدرت في عام 1948 روايتي **إدريس لعلي الحمامي** حيث عبرت رواية **إدريس** عن كفاح الشُّعوب في شمال إفريقيا وتَطَلُّعِهَا للتَّخلص من الاستعمار من خلال تصوره لواقع ثورة الرِّيف بالمغرب الأقصى عام 1923 وصدرت **الدَّار الكبيرة** La Grand Maison **لمحمد ديب** سنة 1952؛ حيث عبرت هذه الرِّواية عن وقائع الحقيقة المزرية التي يعيشها الشَّعب الجزائري،ومشاركتهم

- أمين الزَّاوي عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، مرجع سابق ، ص1.47
- م ن ، ص2.48
- جبور أم الخير ، الرِّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، دراسة سوسيو نقدية ، مرجع سابق ، ص3.33

أحوالهم المعيشية القاسية ومعاناتهم من الحرمان والفقدان والفقر وتعتبر رواية **الدَّار الكبيرة** أول رواية تطرح مسألة الهُويَّة الوطنية الجزائرية[1]. عرف الأدب الجزائري بين سنوات العشرينيات من القرن العشرين نوعًا من التَّأخر وذلك راجع إلى سياسة الاستعمار الفرنسي ضد الجزائر وأبنائها،وذلك لتجريدهم من كل مقوماتهم الأساسية فأدت سياسة الاستعمار الفرنسي إلى نشر الجهل والأمية.

عرفت الرِّواية المكتوبة بالفرنسية ما بين سنة 1952- 1956 «**قفزة نوعية على المستوى الفني والكتابي أي على مستوى الكيف فهذه المرحلة كانت لمساءلة الذَّات بعد الحرب العالمية الثَّانية، مرحلة كشف وفضح للواقع المقلق »** [2].

ففي فترة الخمسينيات صدرت مجموعة من الأعمال الرِّوائية مثل روايات **مولود فرعون Mouloud Feraune** من بينها روايته الموسومة بـ **ابن الفقير Le Fils Du Pauvre** والأرض والدَّم **La Terre Et Le Sang** سنة 1953 والدُّروب الوعرة.

Les Chemins Qui Montent سنة 1957. و**مولود معمري Mouloud Mammeri** رواية الهضبة المنسية **Oublié La colline** التي صدرت سنة 1952 وإغفاء العادل **le sommai du juste** سنة 1955،وكذلك روايات **محمد ديب** من بينها الحريق ورواية نجمة **لكاتب ياسين** 1956 وروايات **مالك حداد** الانطباع الأخير **dernier impression** سنة 1958 وسأهبك غزالة **je t'offrirai une gazelle** سنة 1959

1- ينظر : أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ، 2007، ص104.

- جبور أم الخير ، الرِّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، دراسة سوسيو نقدية ، مرجع سابق ، ص2.38

وكذلك روايات **آسيا جبار** من بينها العطش **la soif** سنة 1957 والقلقون **la inpatient** سنة 1958.[1]

أما بالنِّسبة للرِّوايات التي ظهرت في فترة السَّتينات فهي لم تأخذ اتجاهًا مختلفًا من ناحية المضمون،فهي كانت تصور أحداث ومشاهد الثَّورة وتعبر عن مأساة الشَّعب وتصور معاناته،ومن بين هذه الرِّوايات التي انتمت إلى هذا الاتجاه نجد رواية **qui se suivant la mer لمحمد ديب** سنة **1962** غير أنها كانت بأسلوب مغاير حيث لجئ فيها إلى استعمال الرَّمز والتَّكثيف الشَّديد للأحداث ليعبر بذلك عن أجواء التَّوتَر والرُّعب الذي كان يسود المدن وعن حالة الخراب والدَّمار التي آلت إليها القرى والمداشر[2] .

ومن بين الرِّوايات التي ظهرت في هذه الفترة نجد أيضا **رواية التَّلميذ والدَّرس** سنة **1961 ورواية أطفال والعالم الجديد les enfants du nouveau** سنة **1962** ورواية **من يذكر البحر qui se souviens de la mer** سنة **1962**[3]

ومما يمكن ملاحظته على الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في الفترة الممتدة ما بين 1945 – 1962 أنه شهد تطورًا ملحوظًا مقارنة بالفترة التي سبقتها،سوى كان التَّطور من حيث الشَّكل أو من حيث المضمون ويرجع ذلك إلى أن هذه الفترة لها خصوصية باعتبار أننا يمكننا وصفها بأنها فترة انتقالية بالنِّسبة للجزائر نظرا لما عاشته هذه الأخيرة من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية ومن بين هذه الأحداث نذكر أحداث 08 ماي 1945 خاصة وما ترتب عنها من قمع واضطهاد ضد الشَّعب الجزائري،فحركت هذه الأحداث هِمَمْ الأدباء والمثقفين فانطلقت الألسنة المعقودة لتنادي

1– صليحة بريدي ، التَّأثرات الأجنبية في أدب مالك حداد ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي ، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف 2012 2011 ، ص56.

– ينظر: أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، مرجع سابق ، 109 ، 110 .2

– ينظر: صليحة بريدي ، التَّأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد ، مرجع سابق ، ص3.56

بالهُويَّة الضَّائعة وتعلن ثورتها على التَّبعية بأشكالها المختلفة وهكذا كان للوعي السِّياسِي الفضل في تحقيق نهضة أدبية ملتزمة بقضايا الوطن.[1]

كما نقدت روايات هذه الفترة الأوضاع الاجتماعية السَّيئة التي يعيشها الشَّعب من بين هذه الرِّوايات روايتي **رقصة الملك la danse du roi سنة 1968 وإلاه أرض البربر dieu en berbarie 1970 لمحمد ديب و روايتي التَّطليق 1969 la récudiation وضربة شمس l'insolation** سنة **1972 لرشيد بوجدرة**[2]

لقد استمر الأدب المكتوب باللغة الفرنسية طوال فترة نهاية السَّتينات والسَّبعينات حاملاً بين طياته صوت الشَّعب إلى الآخر،وتصوير معاناته من فقر وجهل وتخلف وكل ومخلفات الاستعمار التي انعكست سلبًا على المجتمع،إلى أن ظهر في السَّاحة الأدبية موضوعات جديدة جسَّدت موضوع أزمة الهوية والانتماء،وإشكالية الهُويَّة الوطنية والهُويَّة الأمازيغية خاصة في رواية **ذاكرة الغائب mémoire de l'absent** سنة **1974**،ورواية **المنفى والحيرة** سنة **1976 لنبيل فارس**[3].

وبعد مظاهرات 05 أكتوبر 1988 التي قادها الجزائريين بسبب تفشي الآفات الاجتماعية المتمثلة في البطالة واللامساواة والرَّشوة والانتهازية،نجد أن الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية قد سايرت هذه الظُّروف ولاسيما الأعمال الرِّوائية المكتوبة في فترة التّسعينات إذ تعد أعمال **رشيد ميموني** القصصية والرِّوائية الأخيرة أبرز النَّماذج في هذا الصَّدد،مثل بعض نماذجه في المجموعة القصصية **حرام الغولة** 1990،و**روايته اللعنة** 1993 والتي تتخذ من اعتصام الإسلاميين في ساحة أول مايو شهر يونيو 1991،واستيلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى باشا،بعد صدامهم مع قوات الأمن محورا لها [4].

- ينظر: صليحة بريدي ، التَّأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد ، مرجع سابق ، ص1.58
- ينظر: م ن ، ص2.57
- ينظر : أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، مرجع سابق ، ص3.123
- ينظر أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، مرجع سابق ، ص4.125

وعليه نجد أن الكاتب الجزائري المعبر باللغة الفرنسية قد قدم أدبًا يمكن اعتباره أدب قضايا لاتصاله بمعانات الشَّعب خاصة أثناء حرب التَّحرير،وبناءا على ذلك تحددت اختياراته الفنية واتجاهاته الإيديولوجية،وبلغ مرحلة متقدمة من النُّضج الأدبي اعتمادًا على خلفية ثقافية وغربية غنية ساهمت في تطور رؤيتة الفنية والفكرية ضمن أفق اجتماعي محدد أضفى على شخصيته الأدبية قوة وعمقًا[1] .

إذا فالرِّواية جنس أدبي حي يعالج العديد من القضايا التي يعيشها الإنسان سوى إذا كانت هذه الرِّواية باللغة العربية أم بالفرنسية .

1- صليحة بريدي ، التَّأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد ، مرجع سابق ، ص60 .نقلا عن : محمد بوشحيط ، الكتابة لحظة وعي مقالات نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، ص198 ، ص83.

الفصل الأول
مفاهيم الهوية

1- ماهية الهُوية.

2- تطور مفهوم الهُوية.

3- أسس الهُوية.

أ- اللغة.

ب- الدِّين.

ج-التَّاريخ.

د- الثَّقافة.

هـ- الأزياء.

4- العوامل المساهمة في حدوث مشكلة في هوية الفرد:ثنائية الأنا و الآخر.

أ- مفهوم الأنا.

ب- مفهوم الآخر.

1- ماهية الهُويَّة :

إن الهُويَّة متجذرة في وعي الإنسان منذ القديم،إذ يسعى جاهدًا إلى التَّوحد والتَّماسك لبناء حضارة راقية أو العيش بحياة هنيئة،فمن لا هُويَّة له لا وجود له،بحكم السِّياسات المتبعة خاصة في المجتمعات القديمة التي يأكل فيها القوي الضَّعيف،وبالعودة إلى مفهوم الهُويَّة نجد أنه مفهوم مسَهُ الغموض في العديد من الجوانب واختلفت حوله الكثير من الآراء،إذ يقول أحد الباحثين في هذا الصّدد بأن مفهوم الهُويَّة: «**غامض ومعقد المداخل تتفاعل داخله حقول معرفية عدة تتصارع ديناميات "أنا" والـ "الآخر" الـ " أنا" والـ " نحن" الوحدة والتَّطابق والاختلاف وقد شكل مفهوم الهُويَّة منذ سنين وحتى اليَوم إشكالية مؤرقة غير قابلة للتَّجاوز في مختلف الفضاءات الثَّقافية والحضارية** »[1]؛ ممّا صعب مهمة ضبطها وتحديدها إذ لا يوجد «**تعريف متفق عليه لدى الفلاسفة والمفكرين وعلماء السِّياسة والاجتماع وغيرهم للهُويَّة،بل توجد تعاريف مختلفة باختلاف المجالات المعرفية الإنسانية والاجتماعية،معناها يتغير من مجال معرفي إلى مجال معرفي آخر من علم النّفس إلى المنطق إلى علم الاجتماع إلى علم السِّياسة إلى غير ذلك من التَّخصُّصَات الواسعة أو الضَّيقة التي تتناول موضوع الهُوية بالبحث والدِّراسة** »[2].

لكن هذا الغموض لا يمنعنا من أن نقدم بعض التَّعريفات التي نراها خادمة للموضوع رغم تشعبها واتساعها حيث نجد أن الهُويَّة تعني «**حقيقة الشَّيء أو الشَّخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية،وذلك منسوب إلى هُوَ،الهُوْ هُوْ: لفظ مركَّب من هُوَ جُعِل اسما معرّفًا باللاَّم ومضاه الإتحاد بالذَّات**»[3] .

1- محمد سعدي ، الهويَّة من الوحدة إلى التعدد " تغيرت مفاهيمها محليا ووطنيا ودوليا ، أفاق المستقبل ، المغرب ، العدد07 سبتمبر ، أكتوبر 2010 ، ص 81.

2- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهُويَّة في التَّأسيس والنَّقد والمستقبل ، تونس ، ط1 ، 2016 ، ص163.

3- المنجد في اللغة والأعلام ، نسخة إلكترونية ، ص 275.

أمـا في معجـم الـوجيز فـوردت الهُويَّـة بمعـنى «**الـذَّات بطاقـة يثبـت فيهـا اسـم الشَّـخص وجنسـيته ومولِـدُه وعملـه وتسـمى أيضـا البطاقـة الشَّخصـية**»[1]؛فهـي كـل مـا يخـص الشَّـخص من معلومات وحقائق تميزه عن غيره.

وفي معجـم **الوسـيط** : أنّ (**الُهـوَ**) :)(**فـي التَّصـوف**):الغيـب الـذي لا يصـح شـهوده للغـير كغيـب الهُويَّـة المعـبّر عنـه كُنهًـا بـاللاّتَعيّن وهـو أبطـن البـواطن[2] فهـي في « (**الفلسـفة**):**حقيقـة الشَّـيء أو الشَّـخص التـي تميـزه عـن غيره،وبطاقـة يثبـت فيهـا اسـم الشَّـخص وجنسـيته ومولده وعمله**»[3].

فكـل باحـث ودارس راح يعرفُهـا مـن وجهـة نظـره الخاصـة وفـق مـا يـتلاءم مـع أرائـه وفلسفته.

عرّفهـا **اليعقـوبي** بأنهـا « **مصـدر صـناعي مشْـتق مـن كلمـة "هُـو" للدَّلالـة علـى أن الشَّـيء هُـوَ هُـوَ ولـيس غيـره أو أنـه لـم يَصِـرْ شـيئًا آخـر**» [4]؛مما يعـني أن الهُويَّـة هـي ماهيـة الشـيء وحقيقته.

أمـا **الجرجـاني** فـرأى بأنهـا «**الحقيقـة المطلقـة المشـتملة علـى الحقـائق اشـتمال النُّـواة علـى الشَّـجرة فـي الغيـب المطلـق**»[5] حيـث شـبه الهُويَّـة بـالنُّواة وأنهـا تشـمل علـى حقيقـة الشَّـيء المطلقـة كاشـتمال النُّـواة علـى الشَّـجرة في الغيـب المطلق،فـالنُّواة هـي الـتي تشـمل جميـع خصـائص الشَّـجرة مثـل الهُويـة فهـي تختـزل جميـع الحقـائق الجوهريـة للشَّـخص.

- مجمع اللغة العربية ، معجم الوجيز ، وزارة التَّربية و التَّعليم ، مصر ، د ط ،1994، ص1.654
- معجم اللغة العربية ، معجم الوسيط ، مكتبة الشُّروق الدُّولية ، مصر ، ط4 ، 2004 ، ص2.998
- م ن ، ص 3.998
- محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، الميزان للنَّشر والتَّوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1998 ، ص4.174
- علي بن محمد الشَّريف الجرجاني ، التَّعريفات ، مكتبة لبنان للنَّشر والتَّوزيع ،د ط ، د ت ، ص 5.278

ومـن المنظـور الفلسـفي هنـاك مـن نَظَـر إليهـا علـى أنهـا تتميـز بطـابع الوحـدة المرتبطـة بالـذَّات حيث «**قُدمت دومًا على أنها تتمتع بطابع الوحدة**»[1]

اختلف مفهوم الهُويَّة من فيلسوف لآخر فكل واحد عرفها حسب وجهة نظره «**يختلف معنى الهُوية من فلسفة إلى أخرى ومن فيلسوف إلى آخر،ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى يختلف باختلاف الأنساق الفلسفية والفكرية ويكون تابعا للسِّياقات التَّاريخية التي عرفها الفكر عند الإنسان وعرفتها حياته**»[2].

يتميز مفهوم الهُويَّة بالتَّشعب والاتساع لذلك حاول الجميع ضبط مفهومها ومعناها،فلم تقتصر هذه المحاولات على الفلاسفة فحسب بل نجد علماء الاجتماع أيضا حاولوا جاهدين لوضع مفهوم محدد للهُويَّة فمنهم **جونكر** (**Jonegra**) الذي عرفها على أنها «**جزء مكمل للحياة الاجتماعية وهي تتشكل فقط عبر التَّميز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين والإطلاع على مختلف الهُويات يعطي إشارة عن نوع الفرد الذي يتعامل معه ومن ثم كيفية الارتباط به**»[3].

الهُويَّة تعبر عن الفرد وتقدم عنه صورة واضحة للشَّخص الذي يتعامل معه،لأنها تقدم الكثير من المعلومات التي تخصه ومن ثم تحدد الطَّريقة التي تتعامل معه بها.

يصل **جونكر** إلى استنتاج مفاده أنه «**لن يكون هناك مجتمع بدون هُوية اجتماعية**» [4] لأن الهُويَّة وحدة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع الواحد حيث أنها «**ظاهرة اجتماعية تحدد ماهية المجتمع من حيث هو تركيبة بشرية مكوناتها كثيرة متداخلة متشابكة،تركيبية متطورة**

1- عبد السَّلام عبد العالي هايدغر ضد هيجل ، التُّراث والاختلاف ، دار التَّنوير للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بيروت ، لبنان، ط2 ، 2002 ، ص82 ، 83.

2- م ن ، ص82 ، 83. -

3- هارلس وهولبورن ، سوسيولوجيا الثَّقافة والهُويَّة ، تر:حاتم حميد محسن ، دار كيوان للطّباعة والنَّشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ط1 ، 2001 ، ص 94 ، 95.

- م ن ، ص 4.98

باستمرار،فيها الثَّابت والمتحول،وهُوية المجتمع وهُويَّة الفرد جزء منه،تتحد بالعناصر الاجتماعية الثَّابتة في المجتمع والتي لا يوجد المجتمع من دونها»[1].

وبذلك تتحد هُويَّة الفرد من خلال تواجده في مجتمعه فهي الرُّوح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان المجتمع.

اعتبرت الهُويَّة موضوعا هامًا عند علماء النَّفس إذ**« تستعمل الأبحاث الأنجلوساكسونية مفهوم الذَّات لتعبير عن الهويَّة »** [2] ويعد **وليام جيمس (william James)** من الأوائل الذين استعملوا هذا المفهوم إذا اعتبر الذَّات «**مجموعًا كليًا لما يستطيع الفرد أن ينسبه لنفسه»**[3].

كما اعتبرها **تاب (Tab)** في البداية أنها « **جملة معايير تمكن من تعريف فرد ما،وهي شعور داخلي ويتعدد هذا الشُّعور بالهُويَّة إلى الشُّعور بالوحدة والانسجام والانتماء وبالقيمة والاستقلالية والثّقة،إنَّ مجموعة هذه المميزات منظمة حول الإرادة في التَّواجد »**[4]

ونظر إليها أيضا على أنها « **نظام من تصورات الذَّات ونظام مشاعر إزاء الذَّات،ومعنى ذلك أنه لا يمكن اعتبارها كنتيجة سياق عقلاني محض ولا مجموعة إسنادات ذات دلالة تدرك بصفة موضوعية فصورة الذَّات هي بناء ذاتي متجدد باستمرار،يتناوب بين المشاعر والانفعالات التي تختلف في اتجاهها و طبيعتها »**[5] فهي تمكن الفرد من التَّعريف بنفسه والتَّعبير عن ذاته لغيره.

وعرف محمد عبد الجابر الهُوية بقوله « **أنه لا هويَّة من دون وجود وشعور بذلك الوجود وهذا يقوم على وعي للذَّات ينطوي على إدراك لتمايزها عن الآخر ولخصُوصِيتها في آن معًا ما**

1- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهُويَّة في التَّأسيس والنَّقد والمستقبل ، مرجع سابق ، ص164.

2 – فتيحة كركوش ، إشكالية بناء الهوية النفسية والاجتماعية ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بليدة الجزائر، العدد16 سبتمبر ، 2014 ، ص270.

3- م ن ، ص 270.

- م ن ، ص 4.270

- م ن ، ص5.271

كانت درجة ذلك الإدراك حتى لو كان إدراكًا أوليًا أو بدائيًا »[1] فهي تمنح الفرد الإحساس بوجوده وأنه معترف به من قبل الغير.

وعدت الهُويَّة من المنظور النَّفسي أنها«**وحدة الأنا و تعني وحدة الأنا Identité Ego الإحساس الأنوي بأني أنا هُو أنا بكافة الأحوال والأزمنة وهي في الآن نفسه ما تميز الأنا عن غيرها من الأنوات »** [2] فالهُوية تعبر عن ذات الفرد وأناه.

وليس الهُويَّة الشُّعور بالذَّات فقط وإنما تتجاوز ذلك إلى الجماعة فهي« **الشُّعور العقلي والوجداني الذي يتحقق بتحقق الذَّات في الوجود الجماعي للأمة كلها،دون انفصال أو انفصال عنه »** [3] فهي إحساس وجداني وشعور ذاتي تكمن حقيقتها في الأنا ولا يطرأ عليها أي تغير مهما طال الزَّمن.

ارتبطت الذَّات بالهُويَّة ارتباطا وثيقا عند النَّفسنين فهي:**« مجموع الخصائص والمميزات التي تمنح الذَّات كيانها وتحققها الفعلي ولاشك أن معرفة هذه الذَّات أو الأنا يقتضي علاقة ما بذوات أخرى فلا تتضح معالم هذه الذَّات إلا بمواجهتها لتلك الذَّوات الأخرى »** [4] اعتبرت الهُويَّة مجموعة من الخصائص والمميزات التي تتميز بها الذَّات وأنَّ معرفة الذَّات أو الأنا لابد من وجود علاقة ما بذوات أخرى وتظهر بذلك ثنائية الأنا والآخر.

- فتيحة كركوش ، إشكالية بناء الهوية النَّفسية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص1.271

2- محمد عبد الرؤوف عطية ، التَّعليم وأزمة الهوية الثَّقافية ، مؤسسة طيبة للطباعة والنَّشر ، القاهرة ، مصر ط1 ، 2009 ، ص 24.

- م ن ، ص3.86

4- فوزية براهيمي الشَّخصية الرِّوائية وهاجس(الوطن، الهوية ، الثّورة)في الرِّواية الجزائرية ، الملتقى الوطني الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة ،14-13 ماي2012 ، جامعة 8 ماي1945 قالمة ، الجزائر 235.

فهناك من عرفها على أنها**« الرَّمز أو العامل المشترك الذي يجمع عليه كل أفراد الأمة من حيث الانتساب والتَّعلق والولاء والاعتزاز »** [1] فهي عامل مشترك يشترك فيه أبناء أمة من الأمم من حيث الاعتزاز والنَّسب للوطن الواحد والتَّعلق به.

تعد الهُويَّة بمثابة سمة بارزة لأي شعب من الشُّعوب،فجميع الشُّعوب والمجتمعات لها هُويَّة تميزها إذ**« لا وجود لشعب دون هوية،فالهُوية هي التي تعطينا فكرة من نكون ؟ ومن نحن ؟ وكيف نتواصل مع الآخرين في العالم الذي نعيش فيه؟ إن الهُويَّة قضية مركبة تتداخل فيها عدة عناصر»** [2] لذلك اعتبرت المرآة العاكسة للشُّعوب فلا بد منها للاستمرارية الأمة إذ تحدد ماهية الإنسان وجنسيته تمنحنا المعلومات الكافية عن ذواتنا وعن أفراد مجتمعاتنا فهي الموحدة للشُّعوب.

يتضح مما سبق أن مفهوم الهُويَّة مفهوم متشعب تتداخل فيه العديد من التَّخصصات سوى كانت فلسفية أم اجتماعية أم نفسية إلى غير ذلك،فكل منهم يعرفها حسب وجهة نظره ورؤيته الخاصة فمنهم من اعتبرها حقيقة مطلقة **كالجرجاني** ومنهم من ربطها بالذَّات الفردية ومنهم من خصصها بالمجتمع كعلماء الاجتماع و بالتَّالي فهي مفهوم كان ومازال قابلا للجدال والنِّقاش والتَّطور،فهو مصطلح يضرب بجذوره في القدم وهذا ما سنحاول تقديمه في تطور هذا المفهوم.

1- أحمد بلعبكي وآخرون ، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، بيروت، ط1 ، 2013 ، ص25.

2- عبد السَّلام المسدي ، الهوية العربية والأمن اللغوي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات ، بيروت ، ط1، 2014 ، ص 246.

2- تطـور مفهـوم الهُويَّـة : لقـد تطـور مفهـوم الهُويَّـة عـبر التَّـاريخ خاضـعا لتغـير الآراء والمفـاهيم ومتبعًا التَّطور والنُّضج العقلي والفكري للإنسان،فهي لا تعتبر مفهومًا جديدا وإنما ظهر منذ القديم تحديدا مع **أرسطو(Aristos)** «**قـد ظهـر مفهـوم الهويَّـة لأول مـرة مـع المنطـق الأرسـطي وتـم توظيفه منذ تلك اللحظة في السِّياقات العلمية المنطقية والرِّياضية بصفة خاصة وفي السِّياقات العلمية المنطقية والرِّياضية بصفة خاصة وفي السّياقات الفلسفية بصفة عامة ولكن لا ينبغي أن نتصـور مفهـوم الهُويـة قـد تحجـر فـي مـا يمكـن أن يـوحي بـه الاسـتدلال المنطقـي أو الرِّيـاضـي الأرسطي فقط»** [1]وفتح بذلك مجالا للبحث في مفهوم الهُويَّة انطلاقا من التَّصور المنطقي والرِّياضي إذ عبر عن الهُويَّة بالعديد من التَّعابير فيقول مثلا «**أ هُوَ أ، أ = أ،هُوَ هُوَ الشَّـيء نفسه وقد تدل جميـع هـذه التَّعبيـرات أن للشَّـيء ذاتيـة خاصـة يحـتفظ بهـا دون تغييـر فالشَّـيء دائمـا هُـو هُـوَ ومعنى ذلك أن الهُوية تفترض ثبات الشّيء »**[2] فهي تعني من هذا المنظور أن الشَّيء نفسه (هُوَ هُوَ) لم يطرأ عليه أي تحول.

ومصطلح الهُوية لم يقتصر على **أرسطو** فحسب إذ نجد **جون لوك (John Loke)** الذي ساهم في بلورة هذا المصطلح وتحديده مرتكزا في ذلك على عنصرين مهمين **أولا**: الوعي المصاحب للأفعال و**ثانيا**: الذَّاكرة اللصيقة بالوعي؛حيث أكد أن هُويَّة الشَّخص هي «**قدرته على الشُّعور والإحساس بالعالم الخارجي،فليس هناك هوية ثابتة لدى الشَّخص ومعطاة بشكل قبلي بل الهُوية هي ثمرة للانطباعات وأحاسيس وتجارب الذَّات لا يمكنها أن تعرف أي شيء عن نفسها بمعزل قدرتها على الإحساس** (...) **وكلما ظلَّ هذا الشَّخص قادرا على ذكر هذه التَّجارب والأحاسيس كلما حافظ على هويته وثباته ووحدته في الزَّمان والمكان »** [3]

1- الحسين آيت باحسين ، الهوية في علاقته للأمازيغية لغة وثقافة وحقوقا ، سلسلة الدِّراسات الأمازيغية ، حول خطاب الهوية بالمغرب ، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي ، الدَّار البيضاء ، مارس 2006 ، ص98.

2- محمد نهران ، مدخل إلى المنطق الصُّوري ، دار الثَّقافة للنشر والتَّوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1994 ، ص44.

3- مصطفى الزَّاهيد ، الشَّخص والهوية الشَّخصية : رنيه ديكارت ، جون لوك /آرثر شوبنهاور، الأربعاء 26 أكتوبر 2016، ala gorphilo blogspot.com01:26

أما **شوبنهاور** فإنه ربط الهُويَّة بما هو ثابت ومستقر ونفي ارتباطها بجسم الشَّخص الذي يتميز بالتَّغير حيث يرى أن «**أساس هُويَّة الشَّخص لا يمكن أن يكون هو الجسم أو الجسد لأنه عرض متغير، كما ينفي أن تكون الذَّاكرة أو الشُّعور لأنها قدرات معرضة للتلف كما ينبغي أن تكون القدرة على إنتاج المعرفة هي ما يحدد هُويَّة الشَّخص [.....]مستمدة من الإرادة** »[1] والإرادة عنده لا يقصد بها الفعل الواعي المستمدْ من العقل إنما هي إرادة الحياة التي تعبر عن نفسها كاندفاع أعمى لا عاقل اتجاه الحياة وبهذا خالف **شوبنهاور جون لوك** في تصوره لذا يرى هذا الأخير أنّ الذَّاكرة هي التي تحدد هُويَّة الفرد بينما **شوبنهاور** ربط الهُويَّة بالإرادة التي تعتبر العنصر الأساسي المحدد لهُوية الشَّخص باعتبارها هي الوحيدة التي تتميز بالثَّبات المحدد لها.

بينما **ديكارت (Descartes)** ربط هُويَّة الشَّخص بقدرته على استخدام العقل،فاعتبر الجسم مجرد آلة وليس بإمكانه أن يكون أساس الهُويَّة فنظر للجسم أنه عبارة عن شيء كسائر الأشياء الأخرى[2] في حين نجد **ستيوارت هول** (**Sturt Hol**) لخص مصطلح الهُويَّة في أربعة مراحل وتتمثل في: مرحلة ما قبل الحداثة،وبعدها موضوع التَّنوير ثم موضوع علم الاجتماع وفي الأخير نجد موضوع ما بعد الحداثة،وفي هذا يرى **هول** أن « **المراحل المبكرة للحداثة حصل فيها ظهور جديد وحاسم لشكل من الفردية كان فيها موضوع الفرد والهُوية الفردية المحور الأساسي**»[3] ففي مجتمعات ما قبل الحداثة يرى **هول** أن الهُويات تتركز بشكل كبير على الهياكل التَّقليدية خاصة تلك المرتبطة بالدِّين [4].

أما مع قدوم الحداثة طرأ على هذا المفهوم نوع من التَّغير في الفترة الممتدة بين القرنين السَّادس والثَّامن عشر ميلادي إذ تميز مفهوم الهُويَّة بخاصتين هما «**موضوع الفرد كان ينظر إليه كونه غير**

1- مصطفى الزَّاهيد ،الشَّخص والهوية الشَّخصية : رنيه ديكارت ، جون لوك /آرثر شوبنهاور ، مرجع سابق.

2- م ن.

3- ينظر : هارلمس وهولبورن ، سوسيولوجيا الثَّقافة والهوية ، مرجع سابق ، ص94 ، 95.

- ينظر : م ن ، ص4.95

قابل للقسمة،فكل فرد له هُوية خاصة بذاته وهذه الهُويَّة موحدة ولا يمكن تجزئَتها إلى وحدات أصغر وأن هويَّة كل فرد كانت متميزة (Unique) » .[1]

لقد تطور مفهوم الهُويَّة عبر فترات تاريخية مختلفة بداية مع **أرسطو** ومنه نجد أن هذا المصطلح عمد جلّ الباحثين على ضبط مفهومه والتَّأسيس لماهيته،فتناولته المعاجم وعلماء النَّفس والاجتماع والفلاسفة كما لاحظنا سابقا .

3- أسس الهُويَّة : بعد التَّطرق لمفهوم الهُويَّة وتطورها لا بد لنا أن نسعى للتَّعرض لأهم المكونات والعناصر المشكلة لها فكل مفهوم له ركائز وأسس يعتمد عليها ويقوى بها،والهُويَّة من المفاهيم التي لاقت جدلاً واسعًا في السَّاحة النَّقدية والاصطلاحية ولها أسس تقوم عليها و هي:

أ- اللغة: تعد اللغة مسرح تفكير الفرد ومجالا للتَّعبير عن وجدانه وأفكاره وكل ما يختلج داخله من آراء ووجهات النَّظر،فهي أداة تواصل بين الشُّعوب فبغياب اللغة يغيب الاتصال والتَّلاحم بين أفراد المجتمعات ذلك أنها وسيلة توصيل المعلومات إلا أن أهمية اللغة لا تقتصر على التَّواصل فحسب بل تعد من الرَّكائز الأساسية للهُويَّة حيث لها دور كبير في تحديد هُوية الجماعات،فهي ترتبط بالهُويَّة ارتباطا وثيقا «**ارتباط العلة بالمعلول وعلى سبيل التَّأثير والتَّشكيل والتَّمثيل والواحدة منها تؤثر في الأخرى وتشكلها وتمثلها »** [2] لا ينظر إليها على اعتبارها أنها أداة تواصل بين أفراد المجتمعات فحسب؛بل هي أداة توحيد الجماعات والحفاظ على استمراريتها ذلك «**أن النظر إلى اللغة في علاقتها بالهُويَّة يتجاوز كونها أداة بين أفراد الجماعة إلى النَّظر إليها باعتبارها رمزا من رموز الجماعة تشارك في تحديدها وتعريفها وأداة توحيد ومحافظة على الجماعة واستمرارها »** [3]

فاللغة لا تعتبر وسيلة للتَّواصل والتَّفاهم بين المجتمعات لا غير؛بل هي الأداة المعبرة عن ثقافتها وانتمائها وهويتها فهي تعبر عن كيان الأمة فلا تعد « **مجرد أداة تواصل محايدة وسلبية بل هي**

- هارلمس وهولبورن ، سوسيولوجيا الثَّقافة والهويَّة ، مرجع سابق ، ص1.95

2- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهوية في التَّأسيس والنَّقد والمستقبل ، مرجع سابق ، ص169.

3- سعاد بضياف ، لبوخ بوحملين ، أثر الهُوية اللغوية في تطور اللغة العربية ، مجلة الأثر ، العدد 25/جوان 2016 ، ص16.

كائن إيجابي وفاعل في إنتاج ذات الهُوية وتطورها[.....] إضافة إلى أنها أحد أركانها وأنحائها الكبرى » [1] فاللغة هي العنصر الأساسي للهُويَّة والمكون الرَّئيسي لها فلكل لغة أسرارها واستعمالاتها وروحها التي لن تفهم إلا لمستعمليها **لأن اللغة حاملة للهوية والقيم والتَّاريخ،إنها تحقق التَّلاحم الاجتماعي وتدعم تنامي الإحساس بروح الانتماء إلى المجموعة**[2] فهي تثبت هُويَّة الجماعات وتدعم إحساسهم بروح الانتماء إلى وطنهم وتعبر عن فكر ووجدان الأفراد والمجتمعات وتأثر تأثيرا مباشرا على فكر ووجدان المتكلم بها باعتبارها « **أداة تعبير تعبر عن الإبداع الأدبي والفني والكشف عن المشاعر والأحاسيس »** [3] لذا تسعى الأمم والدُّول أن توحد لغة شعوبهم لأنها تجمع شملهم وتحافظ على آلية التَّواصل فيما بينهم.

اللغة والهُويَّة وجهان لعُملة واحدة فهي رمز من رموز السِّيادة الوطنية وتأكيدا للتَّمسك بالهُويَّة فعلاقتهما ببعضهما «**علاقة جدلية تفاعلية إذ ليست اللغة أداة للتَّعبير فحسب ولا وسيلة للتَّواصل بين الأفراد ولا شأن من شؤون العلم والثَّقافة ولكنهما شأن من شؤون الهُويَّة والأمن القومي والسّيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنّفسي [.....] حيث اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهُويَّة في كل بلد أو وطن [.....] فهي النَّاطق الرَّسمي بلسان الهُويَّة »** [4] ومن الأمور الأكيدة والمسلم بها هي أن اللغة لا تقتصر على أنها أداة تواصل بين أفراد المجتمع وتقوي الرَّوابط بينهم،فهي عامل من عوامل إثبات الهويَّة وتوحيد الشُّعوب في أمة واحدة ومصير مشترك،وفي هذا المجال يؤكد **جون جوزيف Jean Joseph** أن « **ظاهرة الهُويَّة في عمومها يمكن أن تفهم باعتبارها ظاهرة لغوية وفق هذا يشير إلى جزء أساسي مؤثر من البحث في مجالات متعددة**

1- رمزي منير بعلبكي وآخرون ، اللغة والهوية في الوطن العربي ، إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات ، بيروت ، ط1 ،2013 ، ص52.

- م ن ، ص2.12

3- عباس الجراري ، هويتنا والعولمة ، النَّادي الجراري ، الرِّباط ، د ط ، 2002 ، ص 12 .

4- بسام بركة وآخرون ، اللغة والهوية في الوطن العربي ، إشكالية التَّعليم والتَّرجمة والمصطلح ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات ، بيروت ، ط1 ، 2013 ، ص 82 .

لعلم اللغة الاجتماعي وعلم النَّفس الاجتماعي وعلم الإنسان الاجتماعي واللغوي إلى الأهمية المركزية للارتباط الحاصل بين اللغة والهُوية » فاللغة تجمع بين أبناء المجتمع الواحد فهي لصيقة بهويَّة الإنسان وهي الصَّوت المعبر عن أفكاره ووجدانه وثقافته وتراثه،فمن خلال اللغة نلمس تصورات عن هوية الأفراد واعتبرت اللغة من العناصر المشكلة لهُويَّة الفرد لاسيما اللغة الأولى باعتبار أن «**اللغة الأم تشكل عاملا رئيسا في هُوية الفرد المنتمي إليها »** [1].

خاصة اللغة الثَّقافية والأدبية والعلمية التي يتواصلون ويتخاطبون بها فاللغة دليل على الهُويَّة الفردية والجماعية على حدٍ سواء،فاللغة العربية على سبيل المثال هي لغة القومية العربية من الخليج إلى المحيط يتعارفون ويتمايزون بها عن بقية الشُّعوب،وللغة دور كبير في تطور ورقي الشُّعوب أو انحطاطها إذ تلعب لغة الغالب المستعمَر أو المتحضَر الدَّور الهام في التَّأثير على الآخرين مثال ذلك اللغة الإنجليزية في السَّنوات الأخيرة؛إذ أصبحت اللغة الأولى عالميا من حيث الاستعمال كما يشير التَّطور اللغوي لأمَة ما إلى مدى رُقيهَا وحضارتهَا أو تخلفهَا وقد تتلاقح اللغات فيما بينها وتأخذ من بعضها البعض الألفاظ والمصطلحات،لتساير الشُّعوب الرَّكب الحضاري والتَّطور العلمي وكثيرا ما قيس التَّطور والرُّقي بمدى انتشارية أو تداولية اللغة.

كثيرًا من الدُّول أرادت وحاولت أن تؤسس لنفسها لغة خاصة تتميز بها عن بقية اللغات الأخرى ولتتفرد وتعرف بها،وبهذا فإن اللغة أهم ركن من أركان الهُويَّة وبدونها لا يستقيم للأمم والشُّعوب قائمة،وبضياعها تتشتت الشُّعوب وتضيع وتصبح تحت وطأت الآخر وهيمنته.

ولكن هذا لايعني أن اللغة هي الوحيدة الأساسية في تشكل هُويَّة الأفراد بل نجد كذلك :

ب – الدِّين : خلقَ الله عز وجلَّ الإنسان وجعله في أحسن تقويم وميزه عن سائر المخلوقات بنعمة العقل الذي يعتبر الأداة الأساسية التي يفكر بها الإنسان فيحدد من خلاله غايته في هذا الوجود ألا

1 – أحمد درويش ، إنقاذ اللغة ، إنقاذ الهوية ، تطور اللغة العربية ، نهضة مصر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، ط1 ،2006 ، ص19.

وهي التَّعمير في الأرض،ولكن الله لم يجعل الإنسان مخلوقًا بدون ضوابط فسَنَ له الدِّين الذي تندرج تحته مجموعة من العقائد والقيم والأخلاق،لذا اعتبر الدِّين هو الأساس لتنظيم حياة الأفراد والمجتمعات،فهو المسَاهم الرَّئيسي في تنظيم سلوكاتهم وتصرفاتهم ويوضح للفرد طريقة تعامله مع جميع من يحيط به،ويساعده على التَّخلص من الوقوع في الكثير من المشاكل وإبعاده عن كل ما يسبب له الأذى والضَّرر،فهو بمثابة المصدر الأساس الذي يعود إليه الفرد للتَّعرف على حقائق الأمور ومعرفة جيدها من رديئها،فهو غذاء للرُّوح ونور للعقل إذ يحقق للإنسان الاستقرار والاطمئنان لكونه يقضي على جميع الفَوارق بين الأفراد والجماعات،فهو يعتبر غريزة إنسانية فله أثر كبير في نفوس البشرية فهو فطرة إنسانية لم تفارق الإنسان منذ القديم باعتباره «**الحالة النَّفسية والعقلية والوجدانية التي يتصف بها شخص معين ونسميها التَّدين أو هو مجموعة من المبادئ أو القيم التي تتدين بها أمة أو جماعة اعتقادًا أو عملاً،وتظهر في كتب ومراجع وروايات وتتمثل في عادت خارجية أو أثار اجتماعية** »[1]

للدّين أهمية كبيرة في تشكيل شخصية الفرد والجماعة فالدِّين مرادف للهُويَّة باعتباره الحالة النَّفسية والعقلية والوجدانية للأشخاص والجماعات الذين يشتركون في طقوس وشعائر دينية متوحدة تجعلهم أكثر قُربًا وتماسكا ببعضهم البعض كحال المسلمين في موسم الحج،أو الأعياد الدِّينية أو الفرائض كالصَّلاة والصِّيام،فهو مجموعة من المبادئ والقيم وجلّ هذه الخصائص نلمسها في مفهومنا للهُويَّة فالدِّين ظاهرة تنتشر في المجتمع ولهذا يكون لها تأثير مباشر في تشكيل هُويَّة الفرد والجماعة،فهو يعد من أكثر «**محركات الهويَّة واستعمالاتها الوظيفية في التَّاريخ الجدلي للبشرية** »[2] فله دور فعال في حياة الأفراد وتحديد وحدتهم لأن «**إقامة الرَّوابط الاجتماعية الحية كلها عن طريق الدّين سوى كانت على نطاق الأسرة أم على مستوى الوطن أم على مستوى الأمم والدُّول والشّعوب وخاصة الرَّوابط المعنوية كالتَّراحم والتَّكافل والمحبة[.....] وغير ذلك من المبادئ الأخلاقية[.....]و يهدف الإسلام من ذلك إلى ربط الفرد والمجتمع وأن يغرس فيه الشُّعور**

1- محمد الزحيلي، وظيفة الدِّين وحاجة النَّاس إليه ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، دمشق ، د ط ، 1991 ، ص 19 .

2- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهوية في التَّأسيس والنَّقد والمستقبل ، مرجع سابق ، ص39.

بالولاء والانتماء إليه »[1]ويحيلنا هذا إلى مدى ارتباط المجتمع والأفراد بالدِّين والإحساس القوي بالانتماء إليه،ومنه نلمس مدى تأثيره على تشكيل هُويَّة الشَّعب «**إن أكبر ما يوحد الهوية نفسيا هو الدّين،لأنه الرَّابطة الرُّوحية التي تذُوب فيها جميع الفوارق »**[2] فهو عنصر مهم من العناصر التي تساهم في بناء الشَّخصية خاصة من النَّاحية النَّفسية لقدرته على ربط المجتمعات ومحو الفوارق بينهم .

ج- **التَّاريخ:** يعتبر التَّاريخ مادة أساسية وضخمة لمعرفة حياة الإنسان منذ القدم فهو بمثابة سجل كامل عن مختلف الوقائع والأحداث التي تخص جميع الشُّعوب،فهو يصور لنا التَّجارب التي مَرَ بها الإنسان القديم،فيساعد بذلك على تجنب الوقوع في الخطأ والهلاَك الذي وقع فيه من سبقونا فهو يزود الإنسان بالعبر و الدُّروس التي تفيده في التَّخطيط الصَّحيح للمستقبل،لأنه يوسع معارفه في جميع نواحي الحياة،كما يعد وسيلة مهمة لترسيخ الوحدة الوطنية ولإثبات هُويَّة الأفراد والمجتمعات ففيه جميع ما يثبت شخصية الأمة وهُويتها وبهذا «**يشكل تاريخ الجماعة منطلق لتحديد هويتها إذ تتجذر هُوية الجماعة في تاريخها »**[3] فالتَّاريخ يحمي هُويَّة الأمة من الاندثار والضَّياع فهو مقوم أساسي من مقومات الأمة باعتباره يروي أحداث وبطولات الشَّعب عبر الزَّمن فهو «**سمة عامة لشعوب العالم وخاصة في المراحل القلقة والانتقالية من تواريخها إلا أن هناك خصوصيات واضحة لتشخيص هذا الهاجس في المقاربات الفكرية لمسألة الهويَّة وتعريفها لدى كل شعب على حدة في حالة العربية بالذَّات نجد أن معاقرة التَّاريخ والتُّراث والنَّبش في الماضي بحثا عن الهُويَّة وعن الذَّات »** [4].

- محمد الزحيلي ، وظيفة الدِّين في الحياة وحاجة النَّاس إليه ، مرجع سابق ، ص 83 .1

2- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهوية في التَّأسيس والنَّقد و المستقبل ، مرجع سابق ، ص59.

3- إليكس ميكشيللي، الهوية ، تر: على وظيفة ، دار الوسيم للخدمات والطِّباعة ، دمشق ، ط1 ، 1993 ، ص25.

4- محمد فيصل يغان ، الهوية والتَّاريخ والآخر ، قراءة في رواية موسم الهجرة إلى الشَّمال لطيب صالح ، مجلة عودة النِّد ، العدد 71 السنة ، 06 ، منشور على الموقع الإلكتروني ، www.oudnad.net.

لمعرفة هُويَّة الشُّعوب والأمم لا بد من الرُّجوع إلى الماضي والنَّبش في تاريخ الأمة فهذا الأخير بمثابة الحجر الأساس في بناء هُويَّة الجماعة «**لقد كان بديهًيا أن تكون الهُويَّة ترتكز على أركان تاريخية يتصدرها الانتماء إلى أصول سُلاليَةُ واحدة وهي تلك التي تشمل خريطة الأجناس والأعراف** »[1].

لا يمكننا أن نتحدث عن هُويَّة أمة بدون الرُّجوع إلى ماضيها،هذا الماضي المتمثل في تاريخها فلا مجال لصياغة هُويَّة شعب بمعزل عن تاريخه الذي يصور أحداث الأمم والشُّعوب،وقد يصور التَّاريخ حروب الأوطان من أجل المحافظة على السِّيادة الوطنية بما في ذلك الهُوِيَّة؛بمعنى هُويَّة أبناء الوطن الواحد المتمثلة في الدِّين واللغة والعادات والثَّقافة والتَّاريخ،فالتَّاريخ المشترك والذِّكريات الواحدة تعمل على لم شمل الأمة وتعزيز علاقتها مع بعضها البعض وتوحد الشُّعوب في أفراحها وأتراحها.

د– الثّقافة: تعبر عن الخصائص الحضارية والفكرية التي تتميز بها أمة من الأمم،فهي نمو معرفي تراكمي وليس معارف جاهزة ليستطيع الإنسان الحصول عليها في وقت قصير وإنما تتراكم عبر فترات طويلة من الزَّمن ويتناقلها الأفراد من جيل إلى جيل فلكل شعب من الشُّعوب ثقافة؛بمعنى لكل أمة مجموعة من العادات والقيم والمعارف والسُّلوكات التي تميزها عن باقي الأمم الأخرى ونظرا لتشعب الثَّقافة واتساعها كان لا بد من أنّ تلامس العديد من المجالات بما في ذلك الهُوِيَّة: « **ثمة علاقة وثيقة بين الهُويَّة والثّقافة إذ أنه ما من هويَّة إلا وتختزل ثقافة وقد تتعدد الثّقافات في الهويَّة الواحدة كما أنه قد تتعدد الهُويات في الثَّقافة الواحدة وذلك ما يعبر عنه بالتَّنوع في إطار الوحدة** »[2].

لكل شعب من الشُّعوب هُويَّة خاصة به تعبر عن كيانه ووجدانه،وهو نفس الحال بالنِّسبة للثَّقافة حيث لكل أمة ثقافة تخصها تحتوي أفكارها وعاداتها ومعتقداتها،وجلَّ هذه العناصر ترتبط بمفهوم

– عبد السَّلام المسدي ، الهويَّة العربية والأمن اللغوي ، مرجع سابق ، ص1.278

2– عبد العزيز عثمان التّو يجري ، الحفاظ على الهويَّة والثَّقافة الإسلامية في إطار الوحدة المتكاملة www.islamtoday.net،2001-2003

الهُوية و هذا ما يدفعنا للقول بوجود علاقة قوية بين الهُويَّة والثّقافة إذ تعتبر هذه الأخيرة الأساس للهُويَّة ذلك أن « **العامل الثَّقافي هو الأساس الذي تقوم عليه هوية الجماعات البشرية »** [1]

تعد الثَّقافة مجموعة من الأفكار التي تتحكم في سلوكات وتصرفات الأفراد والجماعات وكل هذه الأفكار التي تحتويها الثَّقافة تساهم في الارتقاء بذات الفرد وهُويته فهي«**تنتج الهُويَّة وتصبغها بخصائصها ومميزاتها وتتطور الهُوية بتطور الثَّقافة أي تتأثر الهُوية بالثَّقافة »** [2].

بفضل الثَّقافة يمكن المحافظة على ارتباط الجماعات وتأكيد وحدتها من حيث ممارستها لجميع القيم والعادات والأفكار،في حين أن الجماعة بدون هُويَّة لا يمكن أن تقوم ومن هنا يتأكد لنا التَّلاحم بين الثَّقافة والهُويَّة،وقد يندرج تحت عنصر الثَّقافة ما يعرف بالأزياء الذي يعتبر هو الأخير عنصر فعال للإثبات هُويَّة الأفراد والجماعات.

هـ- **الأزياء:** يعتبر اللباس التَّقليدي جزء لا يتجزء من تراث الأمة وعنصر من عناصر الهُويَّة،لذا نجد الكثير من أفراد المجتمع يظهرون في المناسبات والأعياد باللباس التَّقليدي وذلك حفاظا على تراثهم وهُوياتهم الجماعية والفردية من الاضمحلال والتَّلاشي لذا اعتبر عنصر الأزياء عنصرا مهما ومكونا أساسيا من مكونات الهُويَّة «**فيما تشكل الأزياء واللغة بالإضافة إلى بعض السُّلوكات هُويَّة أصيلة للكثير من الأقوام والتي ترفض التَّخلي عنها رغم انتفاء الحاجة إليها وتصبح كَتراث قومي لبعض المجتمعات تسعى في ديمومتة والتَّمايز به عن الآخر »** [3].

اعتبر الزَّي التَّقليدي بمثابة تراث قومي لا يمكن الاستغناء عنه مهما انتهت الحاجة إليه « **يعتبر موضوع الملابس أو الأزياء المغربية الإسلامية بنوعيها المدني والعسكري من الموضوعات الأثرية الهامة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية [.....] لأن الملابس عامة تشكل عنصرا**

1- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهوية في التَّأسيس والنقد والمستقبل ، مرجع سابق ، ص131.

2 - م ن ، ص173 .

3- محمد حميد الصواف ، عادات الشُّعوب ، تمسك بالتُّراث لديمومة الهوية ، الخميس 07كانون الثاني2010 ، wwwannaba.org

تراثيًا هامًا من بين تراثنا المادي والفني،لا يقل أهمية عن بحث ودراسة أي أثر تراثي آخر مهما بلغت قيمته الفنية والفكرية معا » [1] في هذا تأكيد على اعتبار الملابس والأزياء التَّقليدية بمثابة تراث الأمة وله أهمية كبيرة لا تقل فاعلية على أي نوع من التُّراث.

تميزت المجتمعات بجملة من الأزياء والملابس التَّقليدية التي تميز مجتمع عن آخر مثال ذلك ما يميز المجتمع الجزائري بما يعرف بالجُبة والبُرنس والعَمَائم وكل هذا يرتديه الأفراد لتعبير عن هُويتهم وأصالتهم وجذورهم وانتمائهم وهذا ما أورده أحد الباحثين في قوله :« **وأن عامة سكان المغرب من البربر الذين أطلق عليهم السُّوقة،كانوا يرتدون المناديل والمنْدِيل كما هو معروف لباس صوفي يغطي الرَّأس ويتدلى على الكتفين والظَّهر وليس ببعيد أن يكون هذا المنديل بمثابة عمامة [.....]كما نستكشف من الأخبار التَّاريخية أن لبس الجُبة كان من الصوف فهذا للّباس البسيط انتشر بشكل خاص في مدينة تاهرت حاضرة الدَّولة الرُّسمية »** [2] من الألبسة التي تعتبر الأساس في الزَّي التَّقليدي لدى سكان المغرب العربي نجد ما يعرف بالجُبة والعَمَامة،فكل هذه الألبسة تضفي على الفرد الذي يرتديها نوعا من الخصوصية وتؤكد ارتباطه بأصالته وهويته وثقافته.

وعليه فهذه مجموعة من العناصر و الأسس التي كان لها دور فعال في إثبات هُويَّة الفرد والمجتمعات باعتبارها جزء لا يتجزء من الهُويَّة « **يبدو لنا أن الدِّين واللغة والثَّقافة من أبرز مكونات الهُويَّة »**[3] فالدِّين واللغة والثَّقافة من الأسس الهامة للهُويَّة،إضافة إلى ذلك نجد مكونين مهمين من مكونات الهُويَّة لا يمكن التَّخلي عنهما التَّاريخ والأزياء .

1- صالح يوسف بن قربة ، مقدمة لدراسة الملابس المغربية الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التَّاريخية و الأثرية 24 أبريل 2014 www.attaarika .albarali.ma

2- م ن.

3- محمد صالح الهراماسي ، مقاربة إشكالية الهويَّة بالمغرب العربي المعاصر ، دار الفكر ، دمشق ، د ط ، 2001 ، ص 27.

4– العوامل المساهمة في حدوث مشكلة في هُويَّة الفرد:

ثنائية الأنا والآخر: إن للآخر والأنا دور في تشكل هُويَّة الفرد وذلك عن طريق العلاقة القائمة بين الأنا والآخر ولكن قبل كل شيء لا بد من التَّطرق لمفهوم الأنا والآخر.

أ– مفهوم الأنا : الأنا هي « **إدراك الشَّخص لذاته وهُويته »** [1].

وتعرف الأنا كذلك على «**أنها تعبير يعني به الذَّات الواعية وأستخدم أيضا هذا المصطلح ليقصد به تلك السّمة أو ذلك المكون من مكونات الشّخصية الذي يسيطر بأكثر الطُّرق مباشرة وفورية على الفكر والسُّلوك،فهو "الأنا" التي تشّعر وتفكر وتميز الشَّخص عن الذَّوات الشَّخصية الأخرى »** [2].

كما قد تعني «**الغُرورْ وحب النَّفس ومرادفات الأنانية الأخرى حيث يزعم بعض النُّقاد أنّ أنانية كاتب مثل برنارد شو تبرزها شواهد من ميله أن يجعل من نفسه وأعماله وأفكاره موضوعًا لاهتمام الآخرين وأحاديثهم،وتؤكد الأنانية التَّركيز على النَّفس وتعني التَّوفر على المصلحة الشَّخصية وهي نقيض الغيرية »** [3].

مفهوم الأنا عند علماء النَّفس: و تعني الذَّات من جهة وعيها بذاتها إذ يقول **وليام جيمس w.james** في نفس الوقت الذي أفكر فيه يكون لدي وعي بذاتي وبوجداني الشَّخصي فالأنا هو الذي يعي ذاته،بحيث تصبح شخصيتي كأنها مزدوجة إذ هي في الوقت عينه الذَّات العارفة وموضوع المعرفة[4].

1– أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، مج 1 ، ط1 ، 2008 ، ص126.

2– إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، التَّعاضدية العمالية للطباعة والنَّشر ، صفاقس ، تونس ، ط1 ، 1986 ، ص48.

– م ن ، ص48 ، 3.49

4– جلال الدِّين سعيد ، معجم المصطلحات والشَّواهد الفلسفية ، دار الجنوب ، تونس ، د ط ،2004 ، ص57.

وتعني الأنا في علم النَّفس كذلك « **مرحلة الأنا مرحلة النَّفي [.....]التي تظهر في السَّنة الثَّالثة من عمر الطّفل تقريبا،بحيث يصبح الطّفل قادرا على الإشارة إلى ذاته بعبارة "أنا" مبرزا وعيه الشَّخصي بذاته إزاء إرادة الغير المضادة لإرادته وإزاء اللاّ أنا أو العالم الخارجي** » [1].

ولقد تطرق لمفهوم الأنا العديد من التَّخصصات فإلى جانب علماء النَّفس نجد الفلاسفة حيث تدل كلمة الأنا عند الفلاسفة على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشُّعور الواقعي سوى كانت هذه الأعراض مجتمعة أم متعاقبة فهو إذن مفارق للإحساسات.

وتعني الأنا عند الفلاسفة العرب النَّفس المدركة حيث يقول ابن **سينا**:« **المراد بالنَّفس ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا** » [2].

أما ديكارت (**Descartes**) يشير إلى لفظ أنا في عبارته الشَّهيرة « **أنا أفكر إلى الذَّات الجوهرية من جهة كونها نفسا متميزة عن الوعي التَّجريبي**»[3]إذ يقول **ديكارت** « **أنا جوهر كل ماهيته أو طبيعته ليست غير التَّفكير،وهو في وجوده ليس في حاجة إلى أي مكان كما أنه غير تابع لأي شيء مادي وبهذه الصُّورة فإن هذا الأنا أي النَّفس التي أنا بها من أنا متميزة تماما عن الجسد** » [4].

أما عند **كانط (Kant)** فتدل كلمة "**أنا**" على المدرك من حيث أن وحدته وهُويته شرطان ضروريان يتضمنهما تركيب المختلف الذي في الحدس وارتباط التّصورات التي في الذّهن والأنا بهذا المعنى هو الأنا **الترسند نتالي**[.....]فالأنا **الترسند نتالي** هو الوظيفة التي توحد تحت "**الأنا أفكر**" أي الوحدة التَّأليفية الأصلية للفهم المختلف الذي في الحدس الحسي وتربط التَّصورات ببعضها البعض في الوعي الذي هو الشَّرط الأول للمعرفة[5]. فالمقصود بالأنا هي إدراك ووعي الشَّخص بذاته ونفسه؛بمعنى الأنا تعبر عن الذَّات.

- جلال الدِّين سعيد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، مرجع سابق ، ص1.58
- م ن ، ص2.58
- م ن ، ص3.58
- م ن ، ص4.58
- ينظر : م ن ، ص5.58

وبما أننا ربطنا تشكل هُويَّة الفرد بالأنا والآخر لا بد علينا من معرفة معنى الآخر:

ب – مفهوم الآخر: إن الآخر هو نقيض للذَّات "**الأنا**" فهو الغَير الموجود خارج الذَّات المدركة ومستقل عنها،فقد شاع مصطلح الآخر في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند **جان بول سارتر** (**Jean paul sarte**) و**مشال فوكو** (**Michel focailt**) و**جاك لاكان**(Jacques **Lacan**) و**إيمانويل ليفيناس (Emmanuel Ivinas)**

«فسمة الآخر المائزة ليس فقط تجسيده كل ما هو غريب (غير مألوف)،أو ما هو (غيري) بالنِّسبة للذَّات أو الثَّقافة ككل،بل أيضا ما يهدد الوحدة والصَّفاء وبهذه الخصائص امتدد مفهوم الغيرية هذا إلى فضاءات مختلفة تمثل التَّحليل النَّفسي والفلسفة الوجودية والظَّاهراتية » [1]

فللآخر أهمية كبيرة في الفلسفة السَّارترية والوجودية وفي علم النّفس اللاكاني من خلال جوهرته الأساسية في تكوين الذَّات وتحديد الهُويَّة والآخر من وجهة نظر **سارتر (Sartes)** ووعي وتحديد الذَّات الوجودي يتأسس تحت تحديق الآخر ليس آخر خيرًا؛بل ينطوي على عداء يدَمِر إنسانيتنا لأنه يعلق الكينونة أو الوجود بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي ما كان وما سيأتي مثل هذا الوضع بالنِّسبة **لسارتر** يجعل الكينونة الذَّاتية تعتمد بطريقة مختلفة على نظرة الآخر وتحديقه [.....]لذلك اختتم سارتر مسرحيته لا مخرج بمقولته الشَّهيرة **الآخرون هم الجحيم**[2] نظر **سارتر** للآخر على أساس أنه الجحيم.

في حين يرى **فوكو**(Foucault) أن الآخر متعلق بالذَّات مثل ارتباط الموت بالحياة « **إن الآخر متعلق بالذّات تعلقًا لا فكاك منه شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت [.....] فالآخر [.....]هو "الهاوية" أو الفضاء المحدود [.....]الذي يشكل فيه الخطاب »** [3] وهو أيضا عنده «**اللاّمفكر فيه في الفكر نفسه أو الهامشي الذي يستبعده المركز أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر لكنه أيضا جوهري بالنِّسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده،فنحن لا**

1- ميجال الرويلي ، سعد البازغي ، دليل النّاقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ، المركز الثَّقافي العربي ، الدَّار البيضاء ، المغرب ، ط3 ، 2002 ، ص21.

2- ينظر: م ن ، ص22.

3- م ن ، ص22.

نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذَّات دون الآخر،أما الآخر على مستوى الخطاب فالآخر هو معالم الانقطاع والفصل الذي يحاول التَّاريخ استبعادها ليؤكد استمراريته » [1]

فالآخر هو الغير وقد يكون على علاقة اتصال أو انفصال مع الذَّات ولكن رغم هذا فهما متلازمان بغض النَّظر عن العلاقة التي تجمعهما.

بين الأنا والآخر قد تكون علاقة محبة وصداقة،كما قد تكون علاقة عداء وصِدام فالآخر قد يكون سببًا في دفع الذَّات للتَّخلي عن هُويتها وأصلها وماضيها،والآخر المعنى بهذا الكلام هو الاستعمار الذي أصاب الأمة المستعمَرة بالتَّخلف والجهل ودفعها إلى التَّنكر لهويتها والانبهار بثقافته،فالاستعمار تسبب في زرع الخوف والقضاء على الأمن والاستقرار في البلد المستعمَر فيرى هذا الأخير أنه لا يستطيع التَّخلص من الخوف والقلق إلا إذا اتخذ لذاته مواصفات الآخر والتَّمسك بهُويَّته.

لذا يلجأ الفرد لإنقاذ ذاته ليضمن لها الأمن والاستقرار فيتخلى عن أفراد مجتمعه بالذَّوبان في الآخر الذي يظُّن أنه هو الذي يمنحه الحرية والأمن والهُوِيَّة الأصلية حيث« **يحسُ الفرد أن أمن المجتمع يتعرض للانهيار فيلجأ للخيارات البديلة لحماية نفسه،مضحيا بالآخرين من أجل تحقيق وَهَمْ النجاة بذاته وبالتَّالي لا يكترث بمشاعر الآخرين،وقد كان من عمليات الهروب تلك التَّوحد بالمتعدي،وكان من أخطر عمليات نكران الذَّات اللجوء إلى النَّقيض بالذَّوبان في الآخر والتَّوحد معه أي يتمثل وجود الآخر حتى يصبح الشَّخص هو الآخر أي أنه هُوَ هُوَ ومن هنا يتخذ الفرد لنفسه ماهية الشَّخص الآخر وهُويّته »** [2].

فالفرد عندما يشعر بالنُّقص وبأنه أقل قيمة من الآخر يختار اللجوء إليه والذَّوبان فيه وذلك ليحقق لذاته القيمة نفسها التي يمتلكها الآخر،كما أنه قد يعجز عن استثمار إمكانياته وقدراته ومواهبه ولا

1- ميجال الرّويلي ، سعد البازعي ، دليل النَّاقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ، مرجع سابق ، ص22.

2- خضر عباس ، الأنا والأخر بين الفلسفة والسيكولوجيا ، drabbass.wordpress.com2013/01/16

يستطيع أن يحقق ذاته،ومن ثم يبحث عما يعطيه إحساسًا بالهُوية ويرد إليه المستلب بالأمن ويرفع عنه عبئ الشُّعور باللاّجدوى[.....]المهم أن يشعر بهُويته وبانتمائه إلى شيء يعوضه عما يفقده وذلك أحد أسباب التَّوحد مع النَّماذج المتطرفة والمتسلطة والقطعية[1].

ومن خلال نظرة الأنا للآخر أو نظرة الآخر للأنا،تتجسد ملامح الهُويَّة ومدى التَّمسك بها مما يعني أن القوة والغلبة للقوي المسيطر،أما المغلوب فهو منقاد ومشدود.

إن العلاقة بين الأنا والآخر علاقة متداخلة ومتشابكة،وقد تكون علاقة تكامل أو تنافر إذ تتحدد الذَّات بنظرتها إلى الآخر ومدى قوته أو ضعفه وبالتَّالي تحديد قدرته وقوة السَّيطرة على "**الأنا**" و"**الآخر**".

غالبا ما يكون الآخر نقيضا للأنا مما يولد نظرات إيجابية أم سلبية وينشأ عنها التَّأثر والتَّأثير وبالتَّالي التَّغير في أحد مقومات الهُويَّة سواء اللغة أم الدِّين أم الثَّقافة أم الأزياء أم التَّاريخ،ولعل السَّبب الأكبر في ذلك هو موجة وظاهرة العولمة التي طغت على العالم في القرن الحالي،مما ولد تماهيًا وذوبانًا في الآخر إذ أصبح العالم قرية صغيرة،وسهل عملية الاتصال المباشر بالآخر مهما كان مكانه وموقعه، وأصبحت بذلك العلاقة بين الأنا والآخر من أهم الأسباب التي أدت بالدُّول إلى ضرورة الحفاظ أكثر فأكثر على هُويتها،لذا يحدث الانسلاخ والانصهار أو حتى التَّنصل والَّتنكر للهُويَّة والأصالة سوى الذَّاتية أم الجماعية،ما ينجر عنه ما يعرف بأزمة الهُويَّة أو الشُّعور باللإنتماء أو الضَّياع،وهذه النُّقطة سنحاول تبنيها في الفصل التَّطبيقي وتبيان تجليات الهُوية وغيابها وأزمتها في الرِّواية.

1 – خضر عباس ، الأنا والأخر بين الفلسفة والسيكولوجيا ، مرجع سابق.

تجليات أزمة الهوية في رواية ما لا تذروه الرياح

- تمهيد.

1- ملخص الرِّواية.

2-الشَّخصية البطلة و تنصلها للهُوية الجزائرية.

3- حدوث أزمة الهُوية عند الشَّخصية البطلة.

4- عودة الوعي للشَّخصية البطلة.

5- بين الأنا و الآخر.

6- تمثيل الهُوية الجزائرية في الرِّواية.

تمهيـد:

تختلف رواية "**مالا تذروه الرّياح**" عن سائر الرّوايات الجزائرية المدروسَةُ في صياغة موقفها من الحضارة الغربية،فإذا كانت تلك الرّوايات ترفض الحضارة الغربية بنوع من الرّفض القاطع و المليء بالصّلابة فإن هذه الرّواية تعالج هذا الرّفض**« بشيء من الهـدوء وعلى المستوى النّفسي بصفة عامة »** [1]فهي رواية تحمل رموزًا عديدة،من بينها الصّراع الحضاري بين الشّرق والغرب فأول ما ترمز له هو أن الغرب الاستعماري لا يحب الشّرق لذاته وحضارته وموروثُه التّاريخي والثّقافي وإنما حُبُهُ له حُبْ مستعمِر لمستعمَر حُبْ عالم الفِئران لمخبره،يمارس تجاربه عليه بقسوة مُتلذذًا بذلك،هذا هو الوجه الحقِيقِي للغرب،فهي ترمز للغرب المادي الذي لا يريد أنّ يترك مستعمره لحاله مهما تحَررَ منه كما لا يستطيع المستعمَر أن يمنع نفسه من الانجذاب نحوه والانبهار به،وينتج عن هذا الانبهار أنه يسْلِب منه كل ما يملك من خيرات ويتعدى إلى شخصيته ليسْلبهَا مقوماتها الوطنية والتّاريخية والتُّراثية ويمارس ذلك على البَلد المحتل بنوع من التّلذذْ بما يسببه من آلام نفسية و تاريخية على ذوات هؤلاء الشُّعوب وأوطانهم.[2]

لعل أول ما يستقطب انتباهنا في هذه الرّواية أنها بخلاف الرّوايات الأخرى أيضا من ناحية أنها تطرح إشكالية الصّراع الحضاري من خلال سفر بطلها العربي إلى الغرب (أوربا) وإنما تنقل الصّراع إلى قلب البلد العربي من خلال استعماره ومحاولة تهديم الشّخصية العربية الإسلامية وطمسها،بفضل دور المدارس الاستعمارية [3]؛إذ تعالج الرّواية موضوع الهجرة الذي يعد من أهم المواضيع المرتبطة بالمجتمع المغاربي والمجتمع الجزائري خاصة وذلك راجع لارتباط الجزائري بالغرب لكن **«ليس للسّياحة أو الدِّراسة أو العلاقات التّجارية ولكن ما يربط هذا الإنسان بالغرب هي علاقة حضارية معقدة**

1- الحاج بن علي ، تمظهرات الآخر في الرّواية العربية المعاصرة ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، 2009 ، ص23 ، نقلا عن : عز الدِّين باي ، خطاب الهُوية في رواية ما لا تذروه الرِّياح ، مجلة دراسات جزائرية ، جامعة وهران ، العدد 03 مارس 2006، ص100.

2 - عبد القادر بموسي ، المنهج النَّفسي وتطبيقاته على الرّواية الجزائرية ، السَّادية في علاقة الشَّرق بالغرب في الرّواية الجزائرية ، مجلة طنجة الأدبية ، المغرب ، العدد 51 ، 2013 ، ص14.

- ينظر : م ن ، ص 3.14

تتلخص في إشكالية المستعمَر بالمستعمِر » [1]ورواية "**ما لا تذروه الرِّياح**" خصت بكاملها لموضوع الهجرة والاغتراب والاختلاط بالآخر الفرنسي والارتباط به وهذا ما أدى بالمستعمِر إلى التنَّكر لأصله الحقيقي والتَّنصل من هُويته،ولكن هذا لا يعني أن الجزائري المنبهر بالآخر إذ تنصل لهُويّته وتخلى عن أصله سوف يتمادى في نكرانهما؛بل سيأتي ذلك اليَّوم الذي يواجه فيه كل المغريات والمؤثرات التي دفعته إلى هذا النُّكران لأنه يصبح على قناعة تامة أنه لا يستطيع العيش بدون هويته وأصله،وهذا ما توحي له الدَّلالة الرَّمزية لعنوان الرِّواية ومما يمكن ملاحظته على هذا العنوان أنه مقتبس من القرآن الكريم وتجسد ذلك في قوله تعالى **«وأضْرِبْ لهمْ مَثَلَ الحيَاةِ الدُّنْيَا كَماءٍ أنزلنَاهُ من السَّمَاءِ فاخْتَلَطَ به نَبَاتُ الأرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّياح وكان الله على كل شيء مُقْتَدِرًا »**[2]

- **ما لا تذروه** : ما لا تفرقه،تنسفه.

- **الرِّياح**: الصَّوت،القوة مؤثرة،مفجر وموجه الأحداث،عائق.

وعليه نلمس من خلال لفظتي ما لا تذروه،الرِّياح أن الهُوية جوهر ثمين لا يستطيع المرء التَّخلي عنه للأبد مهما تعرض للعديد من القوى الغيرية والعوائق التي تنتزعه من أصله فالآخر الفرنسي هنا شبهه الرِّوائي بالرِّياح القوية المؤثرة التي لا يقوى أحد على مواجهتها وصدها ولكن قرن لفظة الرِّياح بلفظة ما لا تذروه بمعنى ما لا تستطيع تفريقه ونسفه وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الآخر مهما حاول تشتيت الأنا ونزعها من أصلها إلا أنه في الأخير يفشل بعودة الأنا إلى هُويتها وهذا ما سنحاول مناقشته في هذا الجزء ولكن قبل ذلك لا بد علينا من تقديم ملخص موجز لهذه الرِّواية.

- مصطفى فاسي ، دراسات في الرِّواية الجزائرية ، دار القصبة للنّشر ، د ط ، د ت ، ص1.153

- سورة الكهف ، الآية 2.45

ملخص الرّواية :

كتب **محمد العالي عرعار"روايته ما تذروه الرّياح"** عام 1972،إذ جعلها في إحدى عشر فصلا تجري أحداثها في زمن الثَّورة التَّحريرية أثناء احتلال فرنسا للجزائر بطلها اسمه **البشير** وهو نموذج للطَّبقة الخونة البائعين لوطنهم العملاء لفرنسا ضد أبناء وطنهم الجزائر،فبعد فترة من زواجه من **ربيعة** وبعد أن أقام له عرسًا في قريته وقبل انضمامه لصفوف إخوانه الثُّوار الجزائريين قامت السُّلطات الفرنسية بأخذه بالقوة**«نكس البشير رأسه محطما وضعيا محقورًا وينبع بداخله إحساس بالضَّياع عندما لمسته فوهة البندقية في ظهره تقوده حيثما تريد،أُخذَ البشير داخل إحدى السَّيارات العسكرية وركبوا بعده [...]لا يهمهم ماذا يحدث بعدهم»** [1].

فأخذته القوات الاستعمارية في بداية الأمر إلى العاصمة وعند وصوله أحس بحزن وقلق شديدين وبوحدةٌ عارمة خاصة عندما رأى الثَّكنة العسكرية الفرنسية **«ظهرت له الثَّكنة بجوها الكئيب عالما جديدا غريبا منعزلا »** [2] فتلقى في تلك الثَّكنة العديد من التَّدريبات العسكرية فصار بعد ذلك بطلاً وأحد أعوان الجنود الفرنسيين والمهميين بسبب طاعته العمياء لهم وامتثاله لأوامرهم مهما كان نوعها حتى لو كان ذلك على حساب أبناء وطنه،فهو لدرجة تأثره بالفرنسيين غير اسمه من **البشير** إلى **جاك** وعندما حان الرَّحيل إلى باريس كثرة الأحاديث بين الجنود الذَّاهبين إلى فرنسا و كانت كلها أحاديث تبعث على الخوف،لكن **البشير** عند سماعه ما يقولون كان يقول في نفسه **«أنا لست في ذلك الوضع الذي كان فيه أولئك النَّاس الذين يتألمون عندما يتذكرون أيامهم في فرنسا[...]أنا ذاهب باسم جديد أستطيع بموجبه أن أكون في مرتبة لا بأس بها[...]يمكن أن توازي مرتبة الفرنسيين أنفسهم ألا أحمل الجنسية الفرنسية ألا أرتدي البذلة الفرنسية ألا أحمل على كتفي شرف فرنسا بأكمله »** [3]

فسافر بعد ذلك إلى فرنسا (باريس) وأصبحت له مكانة أكبر من المكانة التي كانت له في الجزائر فحتى بعد انتهاء خدمته العسكرية في فرنسا بقي هناك لكي يكون همزة وصل بين الفرنسيين

- محمد العالي عرعار ، ما لا تذروه الرِّياح ، الشرِّكة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع ، الجزائر ، د ط ، د ت ، ص1.26

- م ن ، ص2.29

- م ن ، ص3.51

والجزائريين الجدُدْ الذين تم جلبهم للمعسكرات الفرنسية لتأدية الخدمة العسكرية الفرنسية إذ قال البشير: **«وبمرور الزَّمن أخذت أحرز الانتصارات في جميع التَّمارين [...]وكنت دائما في الصَّف الأول أنا أرضي رؤسائي أتحصل على ثقتهم،وبمرور الزَّمن أخذت السُّدود التي كانت موجودة بيني وبين رؤسائي تسقط [...] أصبحت لهم عونا لا يستطيعون التَّخلي عنه ولم يرجعوني إلى الجزائر واحتفظوا بي معهم في فرنسا أقوم بالوساطة بينهم وبين الجزائريين الذين يقدمون لتأدية الخدمة العسكرية »** [1].

فكانت معاملته لإخوانه الجزائريين معاملة قاسية فيها نوع من الاستهزاء والتَّكبر عليهم؛لأنه قلد الفرنسيين في جميع سلوكاتهم وأفعالهم فأصبح يتناول الخمر ويعاشر النِّساء فحتى في الأكل الذي يتناوله يقلدهم فيه دون محاولته لمعرفة ماذا يَأكل،فهو يرى أنه لا بد عليه إتباع الفرنسيين في جلّ تصرفاتهم **«فليعش مثلما يعيشون،يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون،يمارس مما يمارسون ويعتنق ما يعتنقون »** [2] وفي هذه الفترة تعرف على امرأة فرنسية أرملة توفي زوجها عند ذهابه إلى الجزائر ليألف كتابًا عليها فقتل على يد الثُّوار،تدعى هذه المرأة **فرانسواز** لديها ابنها صغير اسمه **بيير** أحبها **البشير** حبًا كبيرا فعاش معها ومع ابنها في منزلها،فكان يحس بسعادة كبيرة عند قضائه وقتا معهم،فأصبح ينتظر بفارغ الصَّبر نهاية الأسبوع للذَّهاب إليها **«أصبح البشير يتجه إلى بيت فرانسواز فورا [...] كانت أمنيته الوحيدة في كل مرة هو أن يصِل في أقصى سرعة إلى البيت دون أن يتعرض لأي تأخير »** [3]

لكنه في نهاية المطاف قرأ في الصُّحف والمجالات أخبارا تنبئ باستقلال الجزائر،وأصيب بمرض السُّل فمكث في المستشفى و عندها ابتعد عن **فرانسواز** التي كشف أنها لم تكن تحبه بالفعل،فحنَّ لوطنه وأهله وقرر العودة إلى الجزائر حتى بعد زيارة **فرانسواز** له في المستشفى وطلبت منه أن يتزوجها فرفض طلبها وأخبرها أنه لا بد عليه العودة لبلده وأهله فساعدته على ذلك فعاد إلى وطنه وتصالح

- الرواية ، ص1.66
- م ن ، ص2.81
- م ن ، ص3.121

مع أخيه **العباسي** بعد أحداث طويلة،فقضى عندها بقية عمره مع أهله وزوجته وابنه **باديس** يعمل في أرضه.

2-الشَّخصية البطلة وتخليها عن هُويتها الجزائرية :

إن الشَّخصية البطلة ضعيفة عاجزة عن اتخاذ القرارات فكل شيء فعله كان بتدخل من الآخر القريب أم البعيد،فجُلَّ تصرفاته وأفعاله كانت بتأثير من الغير،فأبيه هو الذي اختار له **ربيعة** لتكون زوجةً له وهو الذي قرر ذهابه للجزائر بعد زواجه من **ربيعة** ليبقى فترة مع أخيه **العباسي**،كما أنه هو الذي أخفاه عن الجيش الفرنسي ثم كشف عن مخبئه بعد أن هَدَدَهُ الجندي الفرنسي بإضرام النِّيران في المكان **«فوخز صدر ضحيته بفوهة بندقيته،وشعر باللذة والرَّاحة وودَ لو يستطيع أن يمزق هذا الصدر ويرى بندقيته تظهر من الجانب الآخر مضرجَة يقطر منها الدَّم الفاني[...]وراح يدفع فوهة بندقيته في صدر بلقاسم وينتظر الحين الذي سيتمزق فيه صدره وتندفع بسرعة لتظهر من الجانب الأخر »** [1]وقرر لحظة خروجه من البئر **«لا تطلقوا الرَّصاص،لا تطلقوا الرَّصاص سيخرج من البئر بسرعة سيخرج[...]أخرج يا البشير من البئر[...]أخرج بسرعة »** [2]

كما أن هجرته إلى فرنسا لم تكن عن طيب خاطر منه وإنما كان مجبرا من طرف الجيش الفرنسي **«لو غادرت بنفسي أهلي لما فكرت في شيء[...]سيكون كل ما يحدث الآن عبارة عن نزهة ترفيهية[...] لو غادرت أهلي بإرادتي لأزحت عن صدري هذا القلق وهذاالكرب »** [3] كما أجبرته الظُّروف أخيرا التَّخلي عن أهلهِ وأصلهِ والتَّنكر لهُويَّته وممارسة الرَّذيلة،وحتى حُبه **لفرانسواز** كان نتيجة ضَياعهِ لأنه كان يعلم منذ البادية أن علاقته معها محكوم عليها بالزَّوال،هذا إن دلَ على شيء إنما يَدلُ على أن **البشير** نموذج لسَّذاجة وفقدان للوعي والثَّقافة،وكأن توظيف الرِّوائي لهذه الشَّخصية يريد من ورائه تَعرِيةُ نماذج من الجزائريين وقعوا في فخ المستعمَر؛نتيجة لعدم وعيهم بما يقبلون عليه **فالبشير «لم يكن بطلاً مثقفًا كغيره من أبطال الرِّوايات الحضارية يحمل ذاكرة جماعية عن**

- الرواية ، ص 1.19
- م ن ، ص2.26
- م ن ، ص3.41

الغرب الاستعماري وعنفه واستغلاله لشعبه » [1] ولهذا لم يكن واعيًا بما فعله الفرنسيين بوطنه وشعبه من جهل وتنكيل،فانبهر بهم وتمنى لو يكون قويًا مثلهم**«أخذ البشير ينظر إلى الجنود،رغم حزنه وبؤسه بشغف كبير كأنه يودُ الذَّوبان فيهم وإحلال نفسه محل أنفسهم »** [2]فهو حتى في علاقته مع المرأة الغربية لم يكن فاعلاً مؤلما لها ساديا وإنما كان مفعولاً مبهورًا بها تحت رحمتها وتحت رحمة تجاربها القاسية والفظيعة[3].

تعاني الشَّخصية البطلة **البشير** من الصِّراع الحضاري منذ طفولته وفي قلب بلدته قبل أن ينتقل لباريس بسنوات،منذ أن كان يدرسُ في المدرسة الفرنسية وهو معجب بالآخر منبهر به متمنيا أن يكون مثله؛وهذا تماما ما حدث مع أستاذه الفرنسي« **إنه مبهور بمعلمه ،يتفرس في وجهه وفي ثيابه وفي كل مكان ما يحيط به فيجده ساحرا محببًا إلى نفسه يود أن يقلده فلا يستطيع ويود أنّ يستمتعً فلا يقدر،يذهب إلى بيته فلا يجد مشابها لما يجده في المدرسة[...]ود من كل قلبه أن يصبح مثل معلمه أن يصبح مثله في كل شيء»**[4].

منذ طفولته وجمال الفتيات الأوربيات يسحر لبه وخياله،إذ كانت تقيم في الجزائر امرأة اسمها **فرانسواز** كان **البشير** في ذلك الوقت طفل لكن كان معجبًا بها إعجابا ليس له حدود فكان يقول عنها «**كم كانت نظيفة مدام فرانسواز،كم كان ساقها أبيض،حدثتني نفسي مرات عديدة أن ألمسها لكن الحياء منعني»**[5].

فلقد شَكَكَ في كل ما يرتبط بالوطن والقيم بما فيها استخفافه بقوة الثُّوار ووصفهم بالمجانين الذين يردون الانتحار لأنهم يحاربون ضد فرنسا البلد العظيم وهذا الأمر صرح به أمام زوجته عندما دَارَ

1- ينظر: محمد مصايف ، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، الدَّار العربية للكتاب ، د ط ، 1983 ، ص286.

- الرّواية ، ص2.28 -

3 – عبد القادر الشّريف بموسى ، المنهج النّفسي وتطبيقاته على الرِّواية الجزائرية ، السادية في علاقة الشَّرق بالغرب ، مرجع سابق ص14.

- الرِّواية ، ص4.30

- م ن ، ص5.62

حديث بينهما **«وقد نَشَبَ حوار طويل بين الزّوجين الجديدين بعد أن حضرا سهرة،وقعت مع بعض المجاهدين الذين مروا على الدَّار واستدعاهم الأب بلقاسم للعشاء،قال البشير لربيعة يا لهؤلاء الأشخاص كيف أمكنهم أن يمروا من هنا ولا يخشون؟ من ماذا يخشون؟ إن لهم أسلحة قوية،لو سمعتي بأسلحة الأعداء لرميتي سلاحك »** [1]اعتبر **البشير** المجاهدين وكل من يريد الوقوف في وجه فرنسا يبحث عن الانتحار،وقال لو كان مكان هؤلاء المجاهدين لرجعَ إلى بيته وأهله وترك مالا يقوى على فعله وفي الوقت الذي يُقلِل فيه من قيمة الثُّوار نجده مبهورًا ومعجبًا بالآخر **«كم هم أقوياء،كم هم عزيزوا جانب،إنهم يسيطرون على كل شيء،إنه لشرف عظيم أن يكون الإنسان في جانبهم »**[2]

ففي الوقت الذي كان فيه أهل **البشير** يتحسرون على فراقه نجده هو يحس بمتعه في الاستسلام والرُّضوخ **«أحس البشير بمتعة في الرُّضوخ والاستسلام رأى في قوة الجنود الأجانب مقدرة خارقة شيء جميل باهر يدعو إلى الإعجاب والتَّعلم والإقتداء »**[3].

جند **البشير** إجباريًا في الجيش الفرنسي فراحَ يومًا بعد يوم ينسى أفراد أسرته واحدًا تلوا الآخر تخلى عن أرضه ووطنه وأهله تنكرَ لأبناء جلدته واختار لنفسه أن يكون مثل هؤلاء الفرنسيين الذين قدَّموا له ما يتمناه،فحققوا له حلم الطُّفولة المتمثل في إدخاله إلى المدرسة لإتمام دراسته إذ تفطنوا لنقطة ضعفه،وهي شغفه وحُبه في التَّعلم لكي يصيرا إنسانا مثقفًا يضرب به المثل فقال له الجندي **«سنعيدك إلى المدرسة سندخلك إلى مدرسة جملية جدا ستعجبك من غير شك[...]أنا أنصحك أن لا تتأخر في الانخراط وسنحقق لك كل ما تريد،سنخلق منك إنسانًا آخر شجاعًا ذا قوة وسطوة وجبروت[...]وستلعب دورا هامًا إذا ما اجتهدت ونلتُ الأوسمة ورضي عليك رؤساؤك »** [4] فهذه اللحظة بالذَّات أعجب **البشير** بكلام الجندي تخلى عن كل ذكرياته الماضية

- الرّواية ، ص1.15
- م ن ، ص2.42
- م ن ، ص3.28
- الرّواية ، ص4.48

وأصبح لا يفكر في أي شيء سوى تلك المكانة التي سَيُحققُها بدخوله إلى المدرسة الفرنسية **«لم يعد البشير يستمع إلى ثرثرة الجندي،فقد كانت الكلمات الأولى التي سمعها كفيلة بأن تسحره وتستولي عليه،حتى أنه ندمَ أشد النَّدم عن العمل الذي قام به منذ ساعة حينما اختفى في الجُب ولم يقم فيرحب بالجنود الذين جاؤوا لينتزعوه من عالمه ويدفعونه إلى النُّور والمجد »**[1]

فالبشير يعاني من النُّقص منذ الصِّغر فهو لا يعترف بمرحلة الطُّفولة،ويعد نفسه أنه لم يعش فترة طفولة أبدًا **«لم أعش الطُّفولة وإن كنت قد عشتها فأنا لا أعترف بها »** [2]

منذ بداية الرِّواية نشعر كأن **البشير** مخذرًا تخذيرا قويًا مما جعله يتصرف خلال الرِّواية كلها بكثير من البلاهة واللامبالاة وعدم الإحساس بالواقع والمحيط وما يجري حوله من أحداث هامة [3]،فهو إنسان غير واع حتى بوجوده في هذه الحياة معتقدا أن وجوده ليس له ما يبرره فهو**«منذ أن بدأ يفكر وهو يساءل عن سبب وجوده كأنه يقول أحيانا،لماذا خلقت ؟لماذا وجدت في هذا العصر وهذا الوضع؟ هل كان يمكن أن أكون إنسانا آخر،أعيش في قطر آخر مع أناس آخرين هل أستطيع التَّدخل في شؤوني وأغير مجر حياتي؟ ماذا أختار؟ »** [4]

البشير شخصيته مهزومة شككت في وجودها ولهذا استطاع الفرنسيون تغيره ودفعه لنكران أصله والتَّنصل لهُويته فضعفه وإحساسه بالنُّقص هما اللذان أجبرانه على التَّخلي عن ذاته وارتدائه لباس الحضارة الغربية.

بدأ **البشير** يتعايش مع الوضع الجديد المختلف كليةً عن الوضع القديم وكون بعض المفاهيم الخاصة به انطلاقا من حالته الرَّاهنة التي غيرت من تصرفاته وأفكاره وتصوراته للأمور؛حيث اعتبر هذا التَّجنيد

- م ن ، ص1.34
- م ن ، ص2.48
- مصطفى فاسي ، دراسات في الرِّواية الجزائرية ، مرجع سابق ، ص3.155
- الرواية ، ص49؟48.4

فرصة لتغير حياته جذريًا والاندماج في مجتمع آخر يختلف عنه في المفاهيم والرُّؤى واللغة والدِّين والثَّقافة واللباس،وبهذا تغيرت أسس هُويَّته ليستبدلها بأسس أخرى لا تمت للقديم بصلة.

بدأ في بداية الأمر بتغير اسمه الذي يعتبر الشيء الأول الذي يميز الأفراد عن بعضهم البعض والذي يعد الهُويّة الأساسية لكل شخص،فهو بتغيره لا سمه يدُل على عدم وعيه للقيمة الدَّلالية التي يحملها هذا الاسم **فالبشير** هو من يحمل الخير والبشرى السَّارة،فهو من صفات الرَّسول **صلى الله عليه وسلم** وهو من يتفاءل النَّاس بقدومه،فاسمه مثل اسم العلامة والبطل **البشير الإبراهيمي** الذي ظل ينادي بالاستقلال ومحافظًا على الهُويّة العربية الإسلامية الجزائرية،بالرغم من هذه الإيجابيات التي لا تعد ولا تحصى لاسمه إلا أنه فضل تغيره لاسم فرنسي **جاك** لأن هذا الأخير يعطيه فرصة ليَتصِل بالآخر الفرنسي ويقيم علاقة مع فتيات باريس بكل سهولة ولإثبات أنه فرنسي لا جزائري،كما أعطاه هذا الاسم فرصة لإقامة علاقة مع امرأة فرنسية وجدَهَا في لحظة صدفة.

ومما يمكن ملاحظته أن اسم **البشير** لا ينطبق أصلاً على أفعاله فتصرفاته عكس الدَّلالة الإيجابية التي يحملها اسمه حيث أنه لم يجلب لأهله سوى الحزن والألم والتَّعاسة،فوالده تحمل كل المصاعب لحمايته من أيادي المستعمَر،وهو في أول فرصة أتيحت له في حضن المستعمِر تخلى عن كل مبادئه وأخلاقه وتنكر لأصله،لدرجة أنه غير ملامح وجهه لكي لا يتذكر صورة والده وأخيه بالرَّغم من حُبْ أهله له وإحاطته بالاهتمام إلا أنه لم يقدم لهم سوى الألم.

تأقلم **البشير** مع الوضع الجديد حتى قبل ذهابه إلى فرنسا فبمجرد مكوثه في الثَّكنة العسكرية الفرنسية حتى تكونت له **«القدرة على التَّأثير على مجموعة انتمائه،بالإضافة إلى القدرة على التَّحكم فيها وهي صفة خاصة بالتَّكيف الاجتماعي »** [1]وأصبح بذلك ذا شخصية إيجابية حسب وجهة نظره تختلف بكثرة عن شخصيته الأولى وهو جزائري،استطاع التَّكيف مع حياته الجديدة التي لَطَالما حلم بها،فتمكن من التَّأثير بمن حوله إذ اعتبر أن ذهابه إلى فرنسا عبارة عن رحلة استكشافية لا تبعث أبدا على الرَّهبة والخوف كما يقول من معه في الثَّكنة بأن الذَّهاب إلى فرنسا أمر لا يحمد

1– كوسة فاطمة الزَّهراء ، أزمة الهويّة عند الشَّباب الجزائري ، دراسة استكشافية ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علم النَّفس العيادي ، 2005 ، الجزائر ، ص71.

عقباه فيقول في نفسه: **«لكن أنا لست في ذلك الوضع الذي كان فيه أولئك النَّاس الذين يتألمون عندما يتذكرون أيامهم في فرنسا،أنا ذاهب إليها باسم جديد أستطيع بموجبه أن أكون في مرتبة لا بأس بها،في مرتبة يمكن أن توازي مرتبة الفرنسيين أنفسهم ألا أحمل الجنسية الفرنسية؟ ألا أرتدي البذلة الفرنسية؟ ألا أحمل على كتفي شرف فرنسا بأكمله[...] فلأذهب وأرى ماذا سيكون وضعنا هناك »** [1]وكأنه بهذا التَّصرف يستشرف لمستقبله عازمًا على تغير مجرى حياته،فذهب إلى فرنسا واستطاع تحقيق ما كان يرغبُ فيه إذ تمكن من السَّيطرة على الأفراد المحيطين به والتَّأثير عليهم وذلك راجع إلى تكيفه معهم بسبب ما بدر منه من تصرفات ترضيهم وتخدم مصالحهم حتى لو كان ذلك على حساب أبناء وطنه إذ يقول **«بمرور الزَّمن أخذت أحرز الانتصارات في جميع التَّمارين وكنت دائما في الصَّف الأول،أن أرضي رؤسائي أتحصل على ثقتهم وبمرور الزَّمن أخذت السُّدود التي كانت موجودة بيني وبين رؤسائي تسقط وأصبحت لهم عونا لا يستطيعون التَّخلي عنه ولم يرجعوني إلى الجزائر واحتفظوا بي معهم في فرنسا أقوم بالوساطة بينهم وبين الجزائريين الذين يقدمون لتأدية الخدمة العسكرية »** [2] بذلك أصبح **البشير** الذِّراع الأيمن للفرنسيين فلا يستطيعون التَّخلي عنه وصار كأنه واحد منهم.

لم يتخل **البشير** عن أصله وأهله فقط ولم يتنكر للثَّورة الجزائرية فحسب بل تخلى عن دينه وعقيدته وعن لغته العربية اللذان يثبتان أنه ينتمي إلى الشَّعب الجزائري المسلم العربي حيث قال فيه أخوه **العباسي «فإنه ويا للأسف قد ارتدَّ وخيب آمال وطنه وآمال إخوته فيه ويا ليته قد رفض الانخراط في الثَّورة ورفض العمل لتحرير وطنه فإن الخطب يكون محتملا أما أن،أما أن يقوم فيبيع نفسه لأعداء بلاده ويرتد عن دينه وعن ملته ويعادي أهله وأمته »** [3].

ومن هنا نجد أن **البشير** لم يكتف بالتَّخلي عن اسمه الذي يُعرف بشخصيته وأصله،تخلى كذلك عن لغته العربية التي تعتبر لغته القرآن الكريم ولغة المسلمين والتي فيها من المفردات التي تحبذ القارئ على معرفتها والتَّوسع فيها لكن **البشير** نسى هذه اللغة العظيمة واستبدلها بلغة الغرب الذي سحر لبه

- الرّواية ، ص1.51
- م ن ، ص 2.66
- الرّواية ، ص 152 .3

وهزَّ كيانه وانبهر به في جميع الجوانب،فاعتبر نفسه فرنسيًا واختار لنفسه اللغة الفرنسية تماشيًا مع وطنه الجديد،فقد تكلم باللغة الفرنسية حتى مع أبناء وطنه ففي أحد المرات بينما **البشير** متجه إلى بيت **فرانسواز** اعترض طريقه أحد الجزائريين الذين طَلبَ منهم **العباسي** الاستفسار على أخيه وتوجه له بالسُّؤال بقوله: **«أهلا بك يا البشير،هل تسمح لي ببعض الكلام؟ فصده البشير بنظرة استغراب "ابعد عني" وذلك باللغة الفرنسية »** [1].

تنازل **البشير** عن مبادئه وأخلاقه وارتدى عن دينه وملته وذلك بارتكاب العديد من الفواحش التي حرمها الله سبحانه وتعالى وبعث نبيه بشيرا نذيرا لكافة العالمين ليأمرهم بالابتعاد عن المنكرات بما فيها **الزِّنا وشرب الخمر** بينما **البشير** ماذا فعل إنه ارتكب كل ما حرمه الدِّين الإسلامي واتبع طريق الهاوية بتأثير من الآخر إذ أصبح الخمر هو المأوى الذي يلجأ إليه لإخماد ضميره الذي يصحا من حين لآخر ويذكره بفعلته **«وجد البشير نفسه في الحانة وحيدا بينما الجميع مع بعضهم البعض بينما هو في حضنه لم يكن سوى زجاجة الخمر »** [2].

اعتبر **البشير** كل ما يقوم به أصدقاؤه الفرنسيون صحيح وحلال ولا يبعث على الخجل لا يدعو للحياء،فأفعالهم تبعث على السَّعادة والسُّرور والحياة الهنيئة،فهو يقضي جلّ أوقات الرَّاحة برفقتهم يذهب أينما يذهبون ويفعل ما يفعلون **«حيثما كانت فترة للرَّاحة فإن البشير أصبح يغادر المعسكر بصحبة رفقائه الفرنسيين ويتجه نحو العاصمة ليغرق نفسه في الكحول والمحرمات،فما إن يرى رفقائه يقومون بعمل حتى يقلدهم أحسن تقليد واقتفى أثارهم »** [3].

فارتكاب المحرمات أصبح السَّبيل الوحيد الذي يتمكن **البشير** من خلاله من إخماد ضميره الذي يستيقظ من حين إلى آخر ويذكره بأهله وأصله،وبالإضافة إلى شُرب الخمر توجه **البشير** إلى إقامة علاقات غير شرعية مع بنات فرنسا لإشباع غرائزه الجنسية والقضاء على الوحدة ففي أحد المرات

- م ن ، ص 1531
- م ن ، ص2.91
- الرِّواية ، ص3.78

ذهب **البشير** مع أصدقائه الفرنسيين إلى أحد الأحياء الفرنسية فبمجرد وصولهم إلى ذلك الحي حتى وجد العديد من النِّساء يقفن على الأرصفة وتستندن إلى الأعمدة والجدران،نساء يبعن الهوى مقابل النُّقود،في البداية استغرب **البشير** من هذا الأمر لكن بعدما أقنعه صديقه بأن هذا الأمر يعود عليهم بالنَّفع والفائدة حتى أصبح كثير التَّردد على مثل هذه الأماكن بمجرد أن يرى نفسه قلقًا أو يشعر أن ضميره قد استيقظ وراح يحاسبه يذهب إلى مثل هذه الأماكن[1].

كل إنسان منا في هذا الوجود خلقه الله سبحانه وتعالى بملامح خَلقية وجسدية تميزه عن غيره وتثبت وجوده بين النَّاس،لكن **البشير** بمجرد ذهابه إلى فرنسا وتنكره لهُويَّته قرر التَّخلي حتى على ملامحه التي خلقه الله سبحانه وتعالى عليها وتعود أهله وأبناء بلدته على معرفته من خلالها وكل هذا لكي لا يتذكر والده الذي أنجبه من صلبه وأخوه الذي يسري دمه في عروقه فعزم على تغير ملامحه **«و هكذا أخذ البشير في محاولات تغيير ملامحه فكون شاربًا ضخمًا،لا يتناسب مع سنه،وتركه ينسدل على فمه،فيغطي شفتاه العليا وبالإضافة إلى كل ذلك فقد غير من طريقة مشط شعره فلم يجعله كالعادة ينسدل على جبينه وإنما أخذ يمشطه إلى أعلا »** [2]

غير كذلك **البشير** من لباسه العربي الأصيل وصار يرتدي اللباس العسكري الفرنسي الذي يعتبره سببًا في العلو من شأنه ومكانته **«ألا أرتدي البذلة الفرنسية »** [3] فهذا اللباس هو الذي يثبت أنه فرنسي أمام الآخر الذي يعتبره جزءًا لا يتجزء منه.

اتبع **البشير** الفرنسيين في أبسط الأمور حتى في أكلهم فكان لا يحاول معرفة ماذا يأكل المهم أن من معه من الفرنسيين يأكلون ذلك الطعام **«رجع البشير يأكل دون أن يحاول معرفة ما يأكل لماذا يسأل؟ إن كل شيء حلال هنا،وهكذا شَعَرَ بسعادة عجيبة تغمره وهو يجلس بجانب**

– ينظر : م ن ، ص1.83

– الرِّواية ، ص2.88

– م ن ، ص3.51

رفقائه الفرنسيين » [1] فهو اختار**«أن يعيش مثلما يعيشون يأكل مما يأكلون،ويشرب ما يشربون يمارس ما يمارسون ويعتنق ما يعتنقون »** [2] في هذا نجد اعترافا صريحا من **البشير** بأنه تنصل لكل ما يربطه بالجزائر إذ اعتبر نفسه فرنسيًا ولا يستطيع أي أحد تغير هذا الأمر حتى الفرنسيين أنفسهم،وهذا ما أكده للجندي الفرنسي الذي حاول تذكيره بأنه ذو أصول جزائرية **«أنا لست جزائريا والجزائر لا تهمني،لقد أصبحت مثلكم فرنسيا لا علاقة لي بما هو خرج فرنسا »** [3].

لقد تخلى عن جنسيته الجزائرية و استبدلها بالجنسية الفرنسية.

الأهل هم نبع الحنان وضياء المستقبل أليس الأب والأم والزَّوجة والأبناء والإخوة هم الذين يكتبون مع الشَّخص في نفس دفتره العائلي الذي يثبت أنهم من أصول واحدة يحملون اللقب نفسه والهُويَّة نفسها والجنس نفسه أليس هم صورة ثانية عن أصل الشَّخص،يدلون عن انتمائه العرقي والدِّيني نعم كل هذه الأمور الأهل وحدهم يستطيعون تقديمها للشَّخص،لكن **البشير** تجاهل كل هذا وتنكرا لأفراد أسرته جميعا و ذلك بسبب حُبهِ وانبهارهِ بالثَّقافة الغربية **فرنسا** التي انتزعت منه كل شيء وربما راجع لسذاجته وقلة وعيه وعدم تميزه ما بين الصَّح والخطأ.

تنكر **البشير** لوِلده إذ لم يرد ولو على رسالة واحدة من الرَّسائل التي بعثها له؛بل توصل به الأمر إلى التَّعليق على هذه الرَّسائل بعبارات استهزاء **«فماذا يهمه هو من ذلك،ألا يعرف أهله ؟ ألا يعرف البلاد؟ فليكتب وليكتب،إنه لن يسمع له،أنظر،أنظر إلى هذه الرِّسالة ذات التَّعابير العاطفية السَّخيفة »** [4] حتى موت والديه لم يؤثر فيه ولم يدفعه للرُّجوع إلى وطنه،فلقد وصل به الأمر

- م ن ، ص1.80
- م ن ، ص2.81
- م ن ، ص 3.80
- الرِّواية ، ص4.69

إلى اعتبار أخيه **العباسي** كغيره من النَّاس،ففي أحد الرَّسائل أخبره والده أنه مريض فقال **«ماذا يهمُه من هذه الأخبار التَّافهة فليمرض العباسي وليمت إن ملايين النَّاس تموت في كل لحظة »** [1]

إعجاب **البشير** بفرنسا دفعه لمعاشرة **فرانسواز** التي التقى بها صدفة في الشَّارع وتنكر لزوجته ابنة بلده التي خدمته دون مقابل واعتبرت خدمته واجبًا عليها فكانت **ربيعة** كل صباح **«تساعده على ارتداء حذاءه،فحسب رأيها إن من الأعمال التي تظهر مدى طاعة الزَّوجة لزوجها هو الرُّكوع عند قدميه ومساعدته،وقد كانت تفعل ذلك بارتياح وسرورا،ولم تكن تهنأ في ذلك اليَّوم،لو لم تكن قامت بعملها هذا المتواضع كما تسميه أو ليس لها الحق؟ أو لم تكن تحلم بالرُّكوع أمام رجل؟ ألم تكن تحدث نفسها هكذا،إن من واجب الزَّوجة أن تخدم زوجها وتتفانى في إرضائه وإراحته »** [2] **فربيعة** مثال للوفاء والطَّاعة والإخلاص فهي اسم على مسمى فهي الرَّبيع المشرق الذي يبعث على الفرح والسَّعادة فهي كرست عمرها في انتظاره،لكن مقابل هذا فإن **البشير** احتقرها وأعلى من قيمة **فرانسواز** المرأة الأجنبية ولم يكتف بقطع علاقته بها فحسب بل شَكَكَ في شرفها وعرضها وذلك بقوله عندما أخبره الجندي الجزائري أن زوجته **ربيعة** وضعت له مولودا فقال في نفسه:**«أنه لا يعتبر علاقته مع ربيعة شيئا يمكن أن يسمى زواجا فإن هذا كثير عليه،فما هذا الزَّواج؟ ومن هي هذه الفتاة التي تسمى ربيعة؟ وإذا كانت ربيعة قد أنجبت ابنا فمن يؤكد أن هذا الابن هو ابنه فعلا؟ من يجبره على قبول الأبوة؟ إن البشير بوضعه بعيدا عن زوجته يمكن له أن يثير الشُّكوك »** [3] فهو وصل به الأمر إلى الحط من قيمة زوجته الجزائرية التي تزوجها في الحلال وأعلى من شأن المرأة الفرنسية تماما عندما تخلى عن الجزائر وارتمى في حضن فرنسا و**فرانسواز**

- م ن ، ص1.68
- الرِّواية ، ص2.36
- الرواية ، ص77 3.75

ما هي إلا رمزا لفرنسا،فالرّوائي هنا لم يضع الأسماء عبثا **ففرانسواز** هي تصغير لكلمة **فرانس** أو **فرنسا** أي بمعنى آخر تمثل **فرانسواز** جانبا من فرنسا الاستعمارية والبيئة الغربية .[1]

لم يعترف **البشير** بابنه وتجاهله واعتبر أنه لا تربطه به أي صلة،فهو رافض المرأة التي أنجبته إلى هذه الحياة ولا يعتبرها إنسانة أصلا **«فالبشير لا يحب ذكر اسمها أو التَّلميح إليها»**[2] فكيف يتقبل فكرة أنها وضعت له ابنا **«أتنجب له تلك الفتاة ابنا؟ أيختلط دمه مع دمها،فيكونا مخلوقا جديدا؟ كيف يكون هذا المولود يا ترى؟ »** [3] فهو أعطاه ملامح مقززة قبل رؤيته باعتباره ابنا تلك المرأة التي تسمى **ربيعة** كما فضل **البشير** لو كان اسم ذلك الولد من الأسماء الفرنسية على الأقل هذا سيمنحه هبة ووقارا **«إن الابن الذي يجب أن يكون ابنا له ،يتحتم عليه أن يحمل اسما آخر كذلك،فما معنى الاسم الأول ؟ فما معنى باديس؟ وما معنى أن يكون عالما مثل ابن باديس عالمنا؟ فلماذا لا يكون اسمه مثل "بيير" أو"كلود" أو "بول" »** [4] فباعتبار أن **البشير** تخلى عن هُويَّته وتنكر لأصله فسيرفض حتما اسم ابنه لأنه مثل اسم أحد علماء الجزائر الكبار الذين ظلوا محافظين على وطنهم إلى أخر يوم في حياتهم .

احتقر **البشير** كل ما له صلة بالجزائر والجزائريين وقطع صلته بأرضه وأهله من لحظة ركوبه الباخرة واتجاهه إلى فرنسا،من ذلك الوقت أحس أنه صار لا ينتمي للجزائر **«بمجرد أن وجد البشير نفسه في الباخرة،وبمجرد أن رأى قدمه لا تقف على الأرض حتى أحس أنه لم يعد ينتمي لأهل الأرض وهو بعيد عنهم بعدا كبيًرا »** [5].

1- عبد القادر الشّريف بموسى ، المنهج النّفسي وتطبيقاته على الرّواية الجزائرية ، السَّادية في علاقة الشرق بالغرب ، مرجع سابق، ص15.

- م ن ، ص2.75

- م ن ، ص3.67

- الرّواية ، ص4.78

- م ن ، ص5.53

الإنسان في غربته بعيدا عن أهله ووطنه يتمني لو يلتقي بأحد من أقاربه أو معارفه ليتخَلصَ من الإحساس بالغربة الموحشة بينما **البشير** على عكس من ذلك تمامًا فهو لا يتمني رؤية أي أحد من الجزائريين لأن ملاقاتهم يسبب له نوعا من الإحباط واليأس،فهو يحتقرهم ولا يعترف بوجودهم **«آه من هؤلاء النَّاس،يا لهم من بؤساء مساكين،ينغصون حياتهم وينغصون حياة أهلهم،لكن الحمد لله إن لي فرصًا عديدة للتَّخلص من مضايقتهم ومتاعبهم إن باريس بجانبي تسري عن بالي الهُموم وتفتح أبواب الحياة السَّعيدة أمامي نعم المدينة أنت يا باريس »** [1].

نسيان الشَّخصية البطلة لأهلها وقطع الصِّلة مع ماضيها وعشق الحضارة الغربية لدرجة الذَّوبان والحُلولَ فيها في شتى الجوانب لا يعني هذا أنها لم تندم يومًا على فعلتها ولم تتحسر على الأحباب والأهل **فالبشير** كان من حين لآخر يتذكر والديه ويتألم على فقدانه لهما ويحس أن كل ما آل إليه خاطئ وحياته الجديدة وسط أناس آخرين غرباء عنه قد تزول في أية لحظة،وبمجرد ذكر أحد أقاربه أو سماع اسم يشبه اسمهم تشتعل النَّار في قلبه ويحن إليهم **«إنه يحن أحيانا إلى أهله ووطنه»**[2] وينتابه شعور من قرارة نفسه أن القيم والأسس التي كونها عن نفسه خاطئة وأنه ظَلَمَ نفسه بهذا الفعل الذي ارتكبه **«فإن مجرد ذكر اسم أحد أفراد عائلته أو مجرد ذكر اسم يشبه في اللفظ أحد أسماء أهله يجعله يتألم ويعاني كثيرا،فيرى أحيانا أنه فعل فعلا أدا ويرى أحيانا أخرى أنه ظلم نفسه وظلم أهله »** [3]جميع الحواس التي يمتلكها **البشير** ماتت فَقَدَ إحساسه وشعوره تجاهل ماضيه وتنكر لأصله لكن هذا لم يمنع من أن ضميره من وقت لآخر يتفطن ويأنبه على فعلته وعلى الجريمة التي ارتكبها في حقهم **«وهكذا كان يحدث للبشير أن يتخيل والده يكلمه من خلال المرآة فيشقى عندما يراه يحدثه بمثل هذه العبارات الحزينة،فلا يستطيع أن يرد بكلمة وإنما يطأطئ رأسه ويستمع وبالاستماع يشعر أنه يكاد ينفجر حسرة وألما »** [4]

- م ن ، ص1.66
- الرِّواية ، ص2.74
- م ن ، ص3.74
- م ن ، ص4.87

لكن البشير بمجرد استيقاظ ضميره يذهب لارتكاب المنكرات التي تساعده على إخماد ضميره كالخمر ومعاشرة النِّساء ونجده يصف ضميره الذي يذكره بأهله **«كيف يمكنك التَّخلص من هذا الضَّمير اللعين الذي يعكر صفو حياة الإنسان فيجعل اللحظات السَّعيدة لحظات كريهة ويحول الأيام الصَّحوة إلى أيام ملبدة الآفاق »** [1]

ومن هنا أصبح **البشير** يعيش نوعًا من التَّذبذب والصِّراع الدَّاخلي بين ماضي تعيس ومستقبل مزهر بين ذكريات أليمة يحن إليها وذكريات مشرقة تدفعه لنسيان الماضي بكل ما فيه،ونتيجة هذا الصِّراع وقع في ما يعرف **بأزمة الهُويَّة** إذ أصبح **البشير** يعيش تعدد الهُويَّة بسبب تصرفاته مشكلاً ما يسمى **الهُويَّة السِّلبية المحولة:** إذ عَمَدَ **البشير** إلى تغيير مجرى حياته،وأسس لنفسه قيمة خاصة به تماشيًا مع الواقع والظُّروف الجديدة التي يعيشها في فرنسا،فأعطى لنفسه ملامح ومواصفات تتطابق مع الهُويَّة الفرنسية لأن **«بالنسبة للمهاجر فإن دينامكية العلاقة تنطلق ابتدأ من مجهوده في تكوين المفاهيم الخاصة بهويته والصُّورة التي يكونها حول نفسه »** [2] فنظرا إلى التَّفرد والخصوصية التي يمتاز بها الفرد لا يقتنع بالقيمة التي يكونها عن نفسه وعند حدوث ذلك يتصرف فعليا بالتَّحاشي والابتعاد عن المواقف التي تسبب له الصِّراع[3] وهذا تماما ما حدث مع **البشير** الذي تأقلم مع الوضع الجديد واعتبر نفسه فرنسيًا وابتعد عن ماضيه وتخلص من كل شيء يرجعه إليه،فقد حاول إقناع نفسه بأن جلّ الملامح التي كونها عن شخصيته ستعطيه صورة جديدة مختلفة نهائيا عن صورته القديمة حتى بالنِّسبة للأشخاص الذين يعرفونه من قبل **« كان البشير يرى أن الحل الصَّحيح الذي يمكنه به أن يبعد عن نفسه كل الشُبهات يمكن أن يغير اسمه،ويتخلص من ماضيه فليعرفه النَّاس إذا أرادوا،لكنه سيخيب آمالهم،يفاجئهم بشخصيته الجديدة التي ولدت في هذه البلاد [.....]فكونت في عقله عقلا آخر وصنعت من قلبه قلبا آخر »** [4].

- م ن ، ص1.88

-كوسة فاطمة الزَّهراء ، أزمة الهويّة عند الشَّباب الجزائري ، دراسة استكشافية ، مرجع سابق ، ص2.71

- ينظر: م ن ، ص3.71

- الرِّواية ، ص4.74

كان **البشير** يعيش دائما حالة صراع داخلي لأنه عمل بكل ما لديه من قوة على الابتعاد على الأمور والمواقف التي تحاول إرجاعه إلى نقطة البداية وتذكره بذكرياته الماضية،ومثال ذلك لما يأتي من الجزائر مجندين جدد يذهب بسرعة ويطلع على أسمائهم وكله أمل أن لا يجد أحدا من أقاربه أو معارفه**« أولى الأعمال التي يقوم بها البشير مع المجندين الجدد وهم قلة هو أن يذهب فيطلع على أسمائهم جميعا[.....]والسَّبب الذي يدفع البشير للقيام بهذه الأعمال هو أن يطلع إن كان هناك أحد من الأقارب أو الأهل قد قدم ولحق به وبمجرد أنه لا يعرف أحد من المجندين [.....]حتى يتنفس الصُّعداء ويشعر بثقل عظيم ينزاح عن صدره فيتركه مرتاحًا»**[1]

يقف **البشير** على المحك بين الهُوِيّة الفرنسية التي اختارها أن تكون هُويته الأصلية وبين الهُوِيَّة الجزائرية المغمورة والتي تحاول المواقف التي تعترضه إظهارها للعلن،لذا ليس بوسعه سوى التَّهرب من المواقف التي ترجع له ماضيه،فقد توصل به الأمر إلى تجنب الوقوف أمام المرآة لأنها تحي ضميره وتذكره بصورة والده **«إذا كانت المرآة تدعو إلى استيقاظ الضَّمير وتوحي له بالانبعاث،فليتجنب المرآة »** [2].

اختيار **البشير** أسُسًا جديدة لهُوِيَّته جعله لا يقتنع بجميع ما كونه عن نفسه لأنها ملامح ومواصفات غير أصلية لم تولد معه وغير مرتبطة بأصله الجزائري الحقيقي،وإنما كونها في بلد غير بلده وهذا ما دفعه لعيش صراعًا داخليًا نتيجة خوفه من فقدان كل ما حققه؛إذ قرَرَ تجنب الوقوف أمام المرآة وإن تعذر عليه الأمر سوف يضطر لتغيير ملامح وجهه **«إذ لم يستطع ذلك فليغير ملامح وجهه حتى إذا ما نظر إلى نفسه إلى المرآة لن يكون هناك أي تشابه بينه وبين ملامح والده وبذلك لا تنبعث صورة والده منه أو صورة أي قريب آخر »** [3].

تفادى **البشير** كل المواقف التي تسبب له الصِّراع ليستطيع المحافظة على أسُس هُوِيَّته الجديدة مع العلم أنه لم يكتف بالابتعاد عن المواقف التي تعيده إلى الماضي بطريقة سلمية بل توصل به الأمر إلى استعمال العنف لإثبات هُوِيَّته الفرنسية وهذا ما يعرف بـ :

- م ن ، ص1.70
- الرِّواية ، ص2.88
- م ن ، ص3.88

- **الهُويَّة الجدلية:** وهي التي يجزم الفرد فيها للتَّأكيد بطريقة قد تميل إلى العُدوانية على الآخر الذي ينظر إليه بنظرة تقلل من قيمته التي كونها عن نفسه وهذا ما يكون أزمة هويَّة[1] **فالبشير** نتيجة الخوف الذي أصبح يتخبط فيه تصرف بكل عدوانية مع من يحاول تذكيره بأصله الجزائري الحقير كما يراه هو،إذ نجده في أحد المرات تعامل مع الجندي الفرنسي الذي حاول تذكيره بأنه ابن الجزائر البلد النَّائي المتخلف الذي يفتقد لأبسط الأمور وسأله عن رأيه فيما يقول فتحول **البشير** في تلك اللحظة إلى حيوان مفترس يريد أن ينقض على فريسته؛وذلك ليس لأن الجندي قلَلَ من قيمة الجزائر وإنما لأنه حاول تذكيره بما تخلى عنه والتَّقليل من قيمته التي كونها **«التفت البشير إلى الذي خاطبه وقال كأنه يود لو يهشم له ذقنه المُدَبَبْ ويكسر أسنانه المعوجة لكي لا يلفظ مثل هذه العبارات»**[2] مؤكدا أنه فرنسي وليس جزائري **«أنا لست جزائريا والجزائر لا تهُمُني لقد أصبحت مثلكم فرنسيًا لا علاقة لي بما هو خارج فرنسا »** [3]

أدى تفكير **البشير** المتواصل في فقدانه الحياة التي ظلَّ يحلم بها منذ طفولته إلى الميل إلى العدوانية والتَّصرف بوحشية من غير وعي مع كل ما يذكره بأصله وأهله ووطنه وهذا التَّصرف لم يكن مع الأشخاص فحسب بل تعدى إلى استعمال العدوانية حتى مع الأشياء الجامدة التي لا تحرك ساكنا فقد كان يمزق جلَّ الرَّسائل التي كانت تأتيه من أبيه لأنها تدفع ضميره للاستيقاظ وتُأنبه على فعلته وتحاول تذكيره بالأشخاص الذين اعتبرهم ماتوا من وقت انضمامه للجيش الفرنسي،فهو من شدة الخوف والاكتئاب الذي ينتابه من وقت لآخر من خسران قيمته كان يضطرُ لإيذاء نفسه ففي مرة من المرات حَطَمَ المرآة بيده إلى أن سالت الدِّماء منها **«كان يحدث للبشير أن يتخيل والده يكلمه من خلال المرآة فيشقى عندما يراه يحدثه بمثل هذه العبارات الحزينة فلا يستطيع أن يرد بكلمة [.....]يشعر أنه يكاد ينفجر حسرة و ألمًا فيصبر ثم يصبر لكن في الأخير يفقد**

-كوسة فاطمة الزَّهراء ، أزمة الهويّة عند الشَّباب الجزائري ،دراسة استكشافية ، مرجع سابق ، ص1.71

- الرِّواية ، ص2.80

- م ن ، ص 80. 3

كل قواه فيصرخ ثم يرفع يديه ويضرب المرآة و يضربها إلى أن تنهشم وتدمي يداه » [1]وكأنه بهذا الأسلوب يريد التَّخلص من الذُّنوب والآثام التي قام بها من نكرانه لأهله ووطنه،ولكن هو لا يريد الاعتراف بهذا الذَّنب ويرجع تحطيمه للمرآة إلى خوفه من خسران كل ما بناه من قيمته التي ضحى بالنَّفس والنَّفيس للحصول عليها وتحقيقها.

أحس **البشير** منذ وجوده في الجزائر أنه لا قيمة له ولا معنى لوجوده فهو غير راض عن الوضع الذي خُلِقَ فيه فاعتبر نفسه أنه لم يعيش فترة الطُّفولة من الأساس ولكن سرعان ما استطاع أن يتخلص من هذا الإحساس بمجرد انضمامه للجيش الفرنسي،فأصبح يرى نفسه أنه ذو قيمة كبيرة لا يضاهيه فيها أحدًا لأنه أصبح أحد الجنود الفرنسيين المهمين يحمل الجنسية الفرنسية مسؤول عن شرف فرنسا بأكمله لكن الماضي ظلَّ يلاحقه ويطارده من حين لآخر فأصبح يعاني من ضعف في شخصيته لأنه يحس أنه منبوذ ومهمش من طرف أصدقائه الجدد الذين اختارهم واعتبرهم رفقاء دربه يعوضونه عن أهله ووطنه وأصله الذين تخلى عنهم في لحظة الانبهار بالآخر،فصار ذا شخصية سلبية المتمثلة في الشُّعور بالألم وعدم القدرة على التَّأقلم مع الإحساس بالإهمال من قبل الآخرين،مما يدفع الفرد إلى الانطواء على تصورات سلبية عن نفسه والإحساس بالشَّخصية السِّلبية يولد نوع من الصِّراع الذي يكون أزمة الهُويَّة [2] .

إحساس **البشير** بالإهمال والتَّحاشي من قبل المحيطين به ولد له نوعًا من الإحباط واليأس فصار غير قادر على التَّأقلم مع هذا الوضع خاصة وأنه عاش نوعًا من الاهتمام من قبل هؤلاء الأشخاص أنفسهم،فدفع به هذا الأمر إلى رسم تصورات سلبية عن نفسه ففضل العزلة والانطواء على نفسه وأصبح يحُس أنه منبوذًا ومكروهًا من قبل الجميع لأن إحساسه بالإهمال أدى إلى حدوث صراع نفسي له فصار يسبب المشاكل لمن حوله؛لهذا فضلوا الابتعاد عنه وأصبح وحيدا لا يجد أحدًا يبث له شكواه **«لكن رغم هذا فإن البشير مازال على طبيعته الأولى فهو حزين يتألم،ولا يجد أحدا**

- م ن ، ص87 ، 1.88

-كوسة فاطمة الزَّهراء ، أزمة الهويَّة عند الشَّباب الجزائري ، دراسة استكشافية ، مرجع سابق ، ص2.74

يبث له شكواه ويتبادل معه الكلام فقد نَفَرَ منه أصحابه وكرهوا صُحبته لهم لأنه بات يغضب بدون سبب ويخلق لهم المشاكل دون داع لذلك حتى إنه في إحدى المرات تجمع أصدقائه وقبل أن يخرجوا من المعسكر تناقشوا حوله هل يأتي معهم أم لا؟ فقال أحدهم أعتقد يا جماعة أنه من الأفضل أن نخرج ولا ننتظر جاك أنتم تعرفون أنه يسبب لنا المضايقات ويخلق لنا المتاعب » [1].

تتوالى الأيام يوم بعد يوم والإحساس بالإهمال والنُّقص من قبل الآخرين يزداد لدى **البشير** فأصبح يرى أن كل ما كونه عن نفسه قد ذهب وضاع **«ولكن ماذا يهم البشير من المطر؟ وماذا يعنيه من ثيابه إذا كانت مبتلة،إنه يفكر في أشياء أخرى أكبر من هذا إنه يرى الآمال التي كونها لنفسه تتحطم على الجدران وتذهب سدى وتتلاشى كأنها أحلام اليقظة لم تبن على أساس ولم يعد لها ما يلزم لتحقيقها رغم كل المتاعب وكل المحاولات فإن النَّتيجة مازالت سلبية ها هو يعيش وحيدًا منبوذًا لا يرغب أحد فيه ولا يحاول أحد كسب صداقته»** [2] أصبح يحس أنه كالكلب الطَّريد الذي لا يحمد أحد مجيئه فهو **«حيثما نزل ينزل الدَّاء وأينما حل يحل الوباء[.....]إنه مثل ذلك السَّجين الذي يطارده القانون فلم يمد له أحد يده ليصادقه بل إن كل النَّاس تنفر من وجهه وتتركه لكي لا يحدث فوضى والاضطراب بين صفوفهم »** [3].

لم يرجع **البشير** سبب رفض الغير مصاحبته إلى المشاكل التي يسببها لهم بل أرجعه لأنه ينتمي إلى بلد متخلف نائي فهو من أصل عربي أصحابه يتميزون بالجهل لهذا أصبح الفرنسيين يبتعدون عنه لأنه ليس في المكانة التي يتمتعون بها هم حيث يرى أنه **«أدهى من ذلك لأنه لا يشاركهم في أي صفة بدنية كانت أو غير بدنية فهو من أصل عربي غريب على هذه البلاد فإنه ينتمي إلى شعب متأخر ذليل »**[4]ومن هنا صار **البشير** يشعر باللإنتماء إذ أنه بعد تخليه على هُويَّته الجزائرية وتمسكه

- الرِّواية ، ص1.95
- الرواية، ص2.95
- م ن ، ص3.97
- م ن ، ص 974

بالهُويَّة الفرنسية وتغير أسُس هُويَّته الأصلية بأسُس أخرى مطابقة لهُويَّته الجديدة ليشعر أنه فرنسيًا بالفعل مقتنعًا بما آل إليه من تغير فقد ظل يؤكد أنه **جاك** وليس **البشير** قال هذا مخاطبا الجندي الجزائري الذي أخبره بأن أخيه **العباسي** يسأل عنه وعن أحواله ويعلمه بأن الله رزقه ابنًا من زوجته ربيعة **«فأنا لا أسمى البشير واسمي الحقيق إن كنت تود معرفته هو جاك لا أعرف العباسي الذي تتكلم عنه وأنا غير متزوج »** [1] سرعان ما وجد أن كل هذا قد فُقِدَ فجاءه شعور غريب بأنه صار تائهًا ضائعًا لا أصل له ولا فصل،إذ يرى بأنه خسر أهله وأبناء وطنه وفي نفس الوقت خسر أصدقائه الفرنسيين الذي سَعَدَ بجانبهم وهذا ما يعرف باللإنتماء فهو**«فَقَدَ كل قوة وكل عزيمة يملكها،فَقَدْ بقي وحيدا متشردا لم يربح جانب الجزائريين المجندين معه في المعسكر ولم يربح جانب الفرنسيين الذين يعيش في بلادهم »** [2].

إحساس **البشير** بالنُّقص والتَّصورات السِّلبية التي نسبها لنفسه دفعه للابتعاد حتى على حبيبته **فرانسواز** التي أحبها وشعر معها بسعادة كبيرة وكل هذه الأمور خاصة الشُّعور بالوحدة دفعت **البشير** إلى مراجعة حساباته وفكر في العودة إلى وطنه وأهله.

- عودة الوعي للشَّخصية البطلة:

تأثر **البشير** بكل المغريات الغربية واعتبارها السَّبيل الوحيد لتحقيق المبتغى والوصول إلى الحُلُم الذي تمناه وهو الذَّوبان في الآخر جعله بعد تجنيده في الجيش الفرنسي سرعان ما تأقلم مع جميع التَّغيرات الطَّارئة على حياته،فتأثره بالغرب جعله يفقد الشُّعور بذاته فأصبحت أعماله لا تمت بصلة إلى شخصيته الحقيقية فتنكر لأهله وأصله،ولكن مع مرور الوقت تأكد أن جميع الأسُسْ التي اتخذها في حياته مبنية على الخطأ وتيقن أن ما يأتي من غير وعي مآله الزَّوال حتما، ومن هنا نجد أن **«الغرب يغرر أبناء الشَّرق ويبهرهم بمنجزاته المادية وتفوقه الحضاري والعسكري ولكن ما يمارسه عليهم من ألوان التَّعذيب النَّفسي والتَّشويه لمقوماتهم يدفعهم في الأخير بعد ظهور وعيهم**

---

[1] - م ن ، ص74.

[2] - الرِّواية ، ص97.

بذلك واكتماله إلى نبذه والعودة إلى أصالتهم وبيئتهم » [1]وهذا تمامًا ما حدث مع الشَّخصية البطلة **البشير** الذي أصبح يعي تدريجيًا قيمة الخطأ الذي ارتكبه،وإحساسه بحب الوطن والأهل بدأ يرجع يومًا بعد يوم إذ نجده يحتقر عمل **برنار** زوج **فرانسواز** الذي أراد تأليف كتاب عن الجزائر فقال:**«ما معنى كلامه أنه مصمم على تأليف كتاب حول الجزائر؟ أيسمو إلى هذه الدَّرجة؟ أيتجرأ شخص مثله على وضع دراسة حول الجزائر من غير أن يكون من أبناء الجزائر ومن غير أن يكون قد عاش في الجزائر وعرف طقسها واطلع على أهلها واستكشف ذخائرها؟ لعنة الله عليه أيتجرأ على قول هذا الكلام[.....]إذ سأفعل أنا أيضا مثله وأؤلف كتابًا على فرنسا وأحكي فيه كل ما وجدت من عيوب وتفاهات وعبث وسأقول للنَّاس إني ألفت كتابا ولماذا لا؟ وسيكون كتابي أصدق من كتاب زوج فرانسواز »** [2]

اعتبر **البشير** أن سماعه بخبر استقلال الجزائر خبر يبعث على الخوف والرَّهبة إذ قال في نفسه أثناء لحظة سماعه الخبر:**«يا لهذا اليوم الملعون »** [3] إلا هذا لا يعتبر أن ضميره الذي يؤنبه على ترك الأهل والوطن قد خُمِدَ مرة أخرى،وإنما إن دَلَ على شيء إنما يَدُلُ على خوف **البشير** أو إن صح التَّعبير يدل على خجله مما فعله لأهله ولأبناء وطنه؛إذ لم يجرأ على مواجهتهم لأنه مدرك أنه أخطأ في حقهم **«ماذا سأفعل الآن سأصبح أضحوكة في أعين النَّاس جميعا فبعد أن كنت محترما،سأصبح محتقرا ذليلا يا لحظي السَّيئ،يا لحظي السَّيئ [.....]لا لا لقد ذهب كل شيء إن جميع ما كنت قد حسبته صحيحًا كان خاطئًا كيف أفعل،كيف أفعل؟ »** [4] فقد أدرك في نهاية المطاف أن فرنسا بلد يغيب فيه السَّعادة و راحة البال **«إن كل ما يبحث عليه الإنسان في**

1- عبد القادر الشّريف بموسى ، المنهج النّفسي وتطبيقاته على الرِّواية الجزائرية ، السَّادية في علاقة الشَّرق بالغرب في الرِّواية الجزائرية ، مرجع سابق ، ص16.

- الرِّواية ، ص2.137

- م ن ، ص3.183

- م ن ، ص4.184

هذه البلد يجده إلا الطُّمأنينة و السَّعادة والحب فهذه أشياء ثلاثة منعدمة هكذا أخذ يقول »[1].

أدرك **البشير** بأن فرنسا بلد غير بلده،لهذا عجز فيها على إقامة علاقات سوية ومثمرة لأن التقاء حضارة متقدمة بحضارة متخلفة لا يمكن أن يكتب لها النَّجاح لهذا قرر **البشير** العودة إلى أصله وجزائريته خاصة أنه تيقن أن **فرنسواز** لم تكن تحبه لذاته كما أحبها هو فهي**«لا تميل إليه كما تميل المرأة إلى الرَّجل وإنما تميل إليه كما يميل العالم على مادته وكما يميل الدَّارس على موضوعه فهي تعاشره لتستطلع منه أسراره وهي ترافقه لتستلهم من كلامه مادتها وهي ترضى بتصرفاته لتكشف سلوكه فالبشير كما يشعر هو بالنِّسبة لها موضوع للدّراسة والاكتشاف والتَّجربة ولا شيء آخر »** [2].

فافرنسواز لم تكن تحب **البشير** حُبًا خالصًا صادقًا وإنما أحبته حبًا مزيفًا كاذبًا فهي كانت تعلم بأنه مريض بالسُّل ولكن لم تدفعه للعلاج بل ظلت تراقبه يذبل يومًا بعد يوم وهذا ما أخبرته به عند زيارته في المستشفى فقال **البشير** حينها:**«أنا لم أكتشف إلى حد الآن فرانسواز،فرانسواز الحقيقية، كنت أعرف امرأة أخرى والآن لقد فهمت كل شيء »** [3] وفهم حقيقة **فرانسواز** يعني فهم الحضارة الفرنسية،كما كانت تعرف منذ البداية أنه من أصل جزائري و**«كانت تتجول معه في أحياء المغاربة لترى تطاحن مشاعره واحتراقها »** [4] لتستلذ بعذابه ولكن ربما يكون هذا الفعل لصالحه لأنها ساعدته على استرجاع أصله بهذا الفعل وخاصة عند تقديمها له كتب موجودة في مكتبتها تحكي عن الجزائر.

مرض **البشير** ومكوثه في المستشفى جعله يتأكد بأنه وحيدٌ وهذا بسبب ما ارتكبه من ذنوب في حق أهله وتنكره لهُويته الأصلية فالنَّدم يقتله فهو يحس بغربة مؤلمة فجميع ما كان يعتقده من حياة

- م ن ، ص1.140
- الرِّواية، ص2.190
- م ن ، ص3.193
- عبد المجيد حنون ، صورة الفرنسي في الرِّواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، د ت ، ص4.197

سعيدة في حضن الآخر كان عبارة عن حلم كاذب صدقه هو وحده **« تألم البشير من الوضع الذي يعيش فيه وتألم من غربته الطَّويلة،إنه لم يكن يتصور الأمر هكذا كان يراه شيئا آخر وهو يعرف الآن أنه كان مخطئا وإن وجوده الآن في المستشفى هو العقاب الأول على عصيانه وانحرافه وستواجهه مصائب أخرى أقسى»** [1] النَّدم يقتل **البشير** والتَّفكير يؤرقه في كيفية الحصول على عفو الأهل والأحباب**« كيف ستفعل يا البشير لتنال العفو وتعود كما كنت؟ كيف ستفعل يا البشير؟ ومن سيعينك ويساعدك ليجعلك تعود إلى بلادك وأهلك وتطلب منهم العفو والرَّحمة من سيساعدك في هذه البلاد العاهرة التي أغوتك برهة من الزَّمن وخلقت في ذهنك صورا خاطئة وأوصلتك إلى الهلاك؟ إنك منبوذ من أهاليك ومن مجتمع هذا البلد،إنك لا شيء»** [2].

رفض **البشير** الزَّواج من **فرانسواز** وطلب منها أن تساعده في إعداد أوراقه الرَّسمية للرُّجوع إلى الجزائر،فوافقت على مساعدته ونفهم من خلال هذا اعتراف فرنسا بالشَّخصية الجزائرية فانفصال **البشير** عن **فرانسواز** مرادف تماما لانفصال الجزائر نهائيا عن فرنسا[3]،فهو تيقن أن علاقته **بفرنسا** هي علاقة استغلال واستنزاف طاقته وهذا تماما مثل العلاقة التي تجمع المستعمَر بالمستعمِر.

انبهر **البشير** بالحضارة الغربية لدرجة أنه تخلى عن كل شيء له علاقة بهُويته فقد احتقر الجزائر ولم يعترف بأنه جزائري ولو ليوم واحد أمام الآخر،لكن في الأخير أدرك بأن الإنسان لا يجد راحته وسعادته إلا في حضن بلده الأصلي،فرجع إلى الجزائر وكله أمل أن يعثر على السَّعادة من جديد فبمجرد أن داست قدمه أرض بلاده حتى قال:**«إن الجزائر الآن ملئ الكون،ملئ الفضاء إنها حسناء العالم وعروس المدن »** [4]وأحس بالشِّفاء من مرضه الخبيث **"السُّل"** لأنه في وطنه بل نسي

- الرِّواية ، ص197 ، 198. 1
- الرِّواية ، ص2.198
- ينظر: محمد مصايف الرِّواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، مرجع سابق، ص3.297
- الرِّواية ، ص4.15

مرضه أصلا **«راح يتجول دون كلل ويطرح جميع الشَّوارع دون ملل راح يختلط مع المواطنين ويحاول مبادلتهم الكلام،لقد نسي في تلك الدَّقائق مرضه ونسي كل علله »** [1].

لقد مرض البطل في فرنسا بينما شفاؤه كان في الجزائر وهذا يرمز إلى أن الآخر وباء يسري في دم الأنا يكون سببًا في عذابها وضياعها ولا يمكنها التَّخلص من هذه الأمراض إلا بالرُّجوع إلى الأصل وهذا ما حدث **للبشير** فبرجوعه إلى الجزائر أحس بالشِّفاء **«بقى البشير يزاول مختلف الأعمال في أرضه وأرض أخيه وكان لا يبخل بجهده خاصة وقد أعجبه هواء القرية النَّقي وكان يعارض دعوة الأسرة في الذَّهاب إلى إحدى العيادات للفحص والتَّداوي وكان يقول في كل مرة إني أسير نحو الشّفاء التَّام،ألا تلاحظون الدَّم في وجهي صافيا؟ أني لا أشعر بشيء من الألم إني بخير »** [2].

عاش **البشير** في فرنسا كل أنواع الغواية والرَّذيلة،أقام العديد من العلاقات سوى كانت علاقات غرامية أم صداقة،شهد على نجاحه في تأديته للخدمة العسكرية سعد برضاء رؤسائه عنه لكن في الأخير تأكد أن دوام الحال من المحال،فالإنسان مهما تنكر لأصله وتخلى عن هوُيَّته لا بد أن يأتي ذلك اليوم يخلع فيه الملابس الغربية ويرتدي قشور حضارته وأصالته وهذا ما فعله **البشير** بعدما أدرك أن جلَّ ما حققه في فرنسا مزيف وكاذب وأن الحقيقة تكمن في رجوعه لوطنه وأهله والتَّمسك بهُويته الجزائرية الإسلامية،فوجد أنه رغم نظرة الإعجاب التي توجه بها الآخر لم يلق منها سوى نظرة الاحتقار وحب السَّيطرة من طرفه .

- م ن ، ص1.261

- الرِّواية ، ص 2452

- بين الأنا والآخر :

كل ما في فرنسا نال إعجاب **البشير** سحر عقله وأخذ خياله فكل ما هو موجود فيها حلال ومسموح به،وهذه هي الحرية التي أرادها منذ أن كان في الجزائر فانبهر بفرنسا والفرنسيين وتوصل به الأمر لدرجة الذَّوبان فيها والتَّنصل لهُويَّته،فاعتبر الفرنسيين أقوياء والمكوث بجانبهم شرف عظيم يبعث على الفرح والسَّعادة فمن شدة إعجابه بهم ولدت لديه رغبة في خدمتهم بدون مقابل المهم أن تتسنى له الفرصة بجانبهم لهذا نجده انقاد للمرأة الفرنسية **فرانسواز** التي عرفها في لحظة صدفة كالطِّفل الرَّضيع الذي ينقاد لحضن أمه دون تفكير،فبمجرد رؤيته لها حتى قال في نفسه **«هذه هي المرأة التي يمكن للمرءُ أن يفتخر بها ويعتز بها إنها نعم المرأة في جميع النَّواحي [.....]هذه المرأة التي كنت أبحث عنها منذ زمن بعيد هذه هي المرأة التي يلزم علي أن أتقرب منها وأنال رضاها،هذه هي الأنثى التي تجدر بي»** [1] **فالبشير** منذ أن كان في الجزائر وهو عاشق للآخر متيم به ونلمس ذلك في قوله في هذه المرأة التي كنت أبحث عنها منذ زمن بعيد فإعجابه **بفرانسواز** كان في أبسط الأمور فهو يصفها في لحظة إعدادها للفطور **«وصبت الحليب في الفنجان فانساب صافيا يتصاعد منه البخار بشدة بخار ساخن شفاف أحاط بوجه فرانسواز وانساب في خصلات شعرها المقصوص بطريقة عصرية وغاب في فمها المنعرج قليلا ومنخاريها الصغيرتين الدَّقيقتين فجعلها أروع جمالا وأقوى سحرا وفتنة »** [2] فإعجابه بفرنسا جسده في هذه المرأة الفرنسية **فرانسواز.**

فبمجرد تنصل **البشير** لهُويَّته وجذوره لدليل على حبه للآخر وعشقه له،ولكن هذه النَّظرة التي ينظرها **البشير** للآخر الفرنسي لم يقبلها سوى نظرة الاستهزاء والاحتقار من طرف الآخر للذَّات الجزائرية،ففرنسا احتلت الجزائر بهدف السَّيطرة على قناعة منها أنها تحاول تخليص هذا البلد النَّائي من الجهل والأمية،فهي تنظر للجزائر والجزائريين نظرة انحطاط ودونية تعتبرها مفتقدة لأبسط متطلبات

- الرِّواية ، ص1.216

- م ن ، ص2.99

الحياة وهذا ما نلمسه في حديث أحد الجنود الفرنسيين مع **البشير«ماذا تقول في هذا المطعم يا جاك؟ هل رأيت مثله في الجزائر؟ لم يجب البشير بكلمة وإنما رفع رأسه نافيا،فقهقه الجميع وعلق أحدهم،إن الجزائر مازالت بلادًا متأخرة لكن لو توقفت الثَّورة فإن الفرنسيين سيعملون على محاربة التَّأخر الموجود ويجعلون من الجزائر بلدا مثل فرنسا »** [1] لم ينظر الفرنسيون للجزائريين سوى نظرة تقلل من قيمتهم وهذا ما اعترفت به **فرانسواز للبشير** عما كانت تعتقده عن الجزائريين **«لقد كنت أعتقد حسب ما سمعت وحسب ما قرأت أنكم أنتم معشر الجزائريين عبارة عن أناس سفاكين للدّماء،متوحشين لا تملكون ذرة من الحب والود »** [2]

نظر المستعمَر لمستعمِره نظرة انبهار ولكن ليس جلَّ الجزائريين نظروا هذه النَّظرة بل نجد إلا أصحاب الشَّخصيات المهزومة السَّلبية **كالبشير** بينما الآخر الفرنسي اعتبر نفسه هو المنّقذ الوحيد للجزائر من الجهل والاستكانة،فنظر إليها دائما نظرة تقلل من شأنها.

1 – الرّواية ، ص79 ، 80.

– م ن ، ص2.280

تمثيل الهويَّة في رواية ما لا تذروه الرِّياح :

ارتبط تمثُّل الهُوية والآخر في رواية **ما لا تذروه الرِّياح** بمرحلة الاستعمار والثَّورة حيث ارتبطت بالآخر البعيد وهو الاستعمار الأوربي والآخر القريب المتمثل في الأنا التي خانت الوطن وتنازلت عن هُويَّتها،إذ جسّدت الرِّواية الشَّخصية الخائنة لوطنها التي مثلها **البشير** الذي انبهر بالثَّقافة الفرنسية وفضل الذَّوبان فيها،والآخر الفرنسي الذي يحاول طمس معالم الهُويَّة الجزائرية والقضاء عليها وترسيخ مبادئ وهُويَّة الفرنسيين في أذهان الجزائريين،وهذا تماما ما فعلته فرنسَا مع الشَّخصية البطلة **البشير** الذي تنصل واستسلم لسيطرة الآخر وتأثيراته،ولكن هذا لا يعني أن فرنسَا استطاعت أن تجلب جلَّ الجزائريين لصفها بل العكس فالكثير من الجزائريين ظلوا أوفياء لوطنهم أكثر من الخائنين له المتنصلين لهُويَّتهم الجزائرية،فمثال ذلك نجد عائلة **البشير** أقاموا له حفل زفافه على الطَّريقة الجزائرية التَّقليدية فرقص الحاضرون الرَّقص الجزائري واستعملوا الأواني الجزائرية التَّقليدية كالقدرة والقصعة وطبخوا المأكولات التَّقليدية التي توارثها الأجيال عن الأجداد **« أخذت زوجة بلقاسم القصعة وذهبت إلى القدر وملأتها "عيشًا" وروته بالمرق المشحم،وزرعت فوقه قطع من اللحم »** [1].

تخلى **البشير** عن اسمه وأصله وأهله وحتى عن لباسه المألوف وأصبح يرتدي اللباس العسكري الفرنسي كما ذكرنا سابقا،بينما هناك جزائريين ظلوا يرتدون اللباس المحلي الجزائري مثال ذلك المدعوون لحفل زفاف **البشير** أحدهم كان يرتدي العمامة **«كانت الجماعة التي يتكلم معها بلقاسم تتألف من خمسة رجال وكان هؤلاء الرِّجال يرتدون اللباس المحلي ويجلسون داخل غرفة صغيرة [.....]واحد منهم يمسد شاربه الأبيض والآخر يصلح من عمامته الطويلة »** [2].

لا يعتبر **البشير** الجزائري الوحيد الذي جُنِدَ في الجيش الفرنسي بل نجد إخوانه الجزائريين أيضا جندوا تجنيدًا إجباريًا فيه لكنهم لم ينبهروا بفرنسا وجنودها بل ظلوا يحملون لها العداء والحقد باعتبارها البلد الذي حاول تجهيلهم والقضاء على مستقبلهم،فرأيهم في فرنسا يختلف كلياً عن رأي **البشير** فهم

- الرِّواية ، ص1.08

- م ن ، ص2.05

يرونها البلد الذي لا يجد فيه المرء غير الذُّل والمهانة والذَّهاب إليها ينبئهم بمستقبل مجهول غير مرغوب فيه على الإطلاق **«وحسب ما سمعه الشَّباب المجندين فإن فرنسا بلد لا يغري أحدًا ليغامر بالذَّهاب إليه،فقد كان ما حكاه أهلهم وأقاربهم دليلا كافيا لا يقف الشَّخص عن التَّفكير في الذَّهاب إلى فرنسا،ماذا سيجدون هناك؟ هناك في ذلك البلد الذي يقع على الجهة الأخرى من البحر لا أكثر من الاحتقار والإذلال »** [1] فهم يرون أن ذهابهم إلى فرنسا يؤدي بهم إلى الهلاك والعذاب والخوف وذلك لأنهم ذهبوا إليها وحب وطنهم في قلوبهم وإخلاصهم له يسري في عروقهم على عكس **البشير** الذي سيذهب إليها باسم وجنسية فرنسية **«حكى كثيرا من النَّاس ماذا عانوه من الفرنسيين من عذاب ومآسي كانوا معتبرين في مرتبة السَّفلة والسُّوقة وفي بعض الأحيان في مرتبة العبيد المقهورين »** [2] فبعد ذهابهم إلى فرنسا احتفظوا برأيهم ووجهة نظرهم ضدها فلم ينبهروا بها ولم يتقربوا من أهلها وجنودها بل ظل إحساس وحب الوطن والأهل والأبناء يغمرهم وهذا ما حدث للجندي الجزائري عندما وجد **البشير** وتعرف عليه أنه من الجزائر فراح يحكي له كل ما يحسه من مخاوف من هذا البلد اللعين ومن العواقب التي سوف تلحقه من هذا التَّجنيد،فهو يخشى من مواجهة إخوانه الجزائريين فنتيجة هذا توصل به الأمر إلى تمني الموت أهون من حمل السِّلاح ضد أخيه **«ماذا تريد أن أقول يا أخي لقد اعتقدت أني لن أجد جزائريا في هذه البلاد فأنت تعرف أننا لا نحب المجيء إليها،فهي بلاد تبغض وطننا وتفعل فينا الشَّر لكن ماذا تريد أن نفعل؟ لقد جئنا رغما عنا لم أستطع الهروب من وجه فرنسا فأخذتنا وجاءت بنا إلى هنا يجب علينا أن نصبر ونثق في الله لأنه سيحررنا يوما من أيدي هؤلاء النَّاس[.....]سنكون من خيرة عباد الله قضينا فترة الخدمة الإجبارية ورجعنا إلى أهلنا معافين مسالمين أما إذا أخذونا إلى الجهات الأخرى وصفونا أمام إخواننا هناك في الجزائر لنقاتلهم ماذا يا ترى سنفعل؟ الله لا يتركنا نعيش إلى تلك السَّاعة المشؤومة،إن كان ذلك هو ما ينتظرنا »** [3].

- الرِّواية ، ص1.50
- م ن ، ص2.50
- الرِّواية ، ص 3.71

الجزائريين المحبين لوطنهم لا يتمنون الرُّجوع إلى الجزائر باللباس العسكري الفرنسي على الرَّغم من أن هذا اللباس ارتدوه رغمًا عنهم إذ كان يقول الجندي الجزائري **للبشير:«خبرني بالله كيف تريد مني أنا مثلا أن أرجع إلى الجزائر بلباس فرنسي فأرفع السِّلاح في وجه أخي الذي صعد إلى الجبال وأوجه إليه الرَّصاص فأجرحه أو قتله أنا والله لن أفعل ذلك ولو جروني جرًا سأثور وأفعل كل شيء حتى أبقى هنا إلى الأبد أو أرجع إلى الجزائر مدنيًا مسالمًا وإذا لم يصلح كل ذلك سأنتحر وأحرر نفسي من هذه الآلام وهذه المآسي »** [1].

الجندي الجزائري من شدة حبه لوطنه وتمسكه بأصله يتذكر كل إثم ارتكبته فرنسا حتى في أجداده ويتمنى لو ذهب إلى الجبل إلى جانب المجاهدين أحسن من هذا الوضع **«يكفي ما فعلوا بآبائنا وأجدادنا فلماذا نحن الآن؟ ولكن ماذا تريد لقد أخطأت الخطأ الكبير عندما لم أصعد إلى الجبل مثل أخي وأرفع السِّلاح في وجه فرنسا،لأني لو فعلت ذلك لكنت على الأقل أدافع عن قضية صحيحة وعن قضية مقدسة عند الله وعند العباد هذا أمر لا شك فيه،ولكن ماذا تريد؟ لكل شخص ما كتب عليه،لقد كتب عليك أنت مثلا أن تغادر أهلك وبلادك وتقطن هذه البلاد النَّائية الموحشة وأنا كذلك على أن ألحق بك،ولكن نحن لا نعلم ربما سيحفظنا الله فنرجع إلى وطننا »** [2].

ظلَّ الجندي الجزائري متمسكا بهُويته ووطنه حتى بعد ذهابه إلى فرنسا متمنيا إيجاد جزائري مثله هناك ليحكي له عن ألامه وعذابه،فوجد **البشير** فظن أنه سيخفف عنه لكن **البشير** كان عكس ذلك إذ تخلى عن كل شيء واعتبر نفسه فرنسيًا لا جزائريًا بل واعتبر هؤلاء الجزائريين لا يمدون له بصلة فكان يقول عنهم **«لعنة الله عليكم أيها الكلاب لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منكم فحيثما ذهب لحقتم به،وأينما حلَّ نزلتم عليه فماذا تريدون مني هنا؟ لن أتواضع حتى أتبادل معكم الكلام سأكون بئس المدرب معكم،سامحي منكم الاعوجاج الذي ورثتموه عن جدودكم**

- م ن، ص1.71

- م ن ، ص2.71

سأستعمل معكم القسوة التي لا مثيل لها حتى لا تحدثكم أنفسكم،فتقولون هذا وطني مثلنا سيكون لنا نعم المعين ونعم الصَّديق » [1].

للبشير أخٌ يدعى **العباسي** لكن على الرَّغم من أن **العباسي** تربى مع **البشير** التَّربية نفسها إلا أنه خالفه في الكثير من المواقف والأفكار،فهو مخلص لوطنه وأبناء بلده ومخلص لأسرته التي ظلَّ يخدمها بكل جهد وعناء إذ اهتم بأسرته وبزوجة أخيه **البشير** وابنه **باديس** واعتبره ابنه من صلبه.

البشير استهزأ بقوة الثُّوار وحط من قيمة الثَّورة أيضا،فهو اعتبر الثُّوار مجانيين لأنهم يقفون في وجه فرنسا بينما **العباسي** كان داعما للثَّورة واقفا بجانب إخوانه المجاهدين في الجبال يقدم لهم يد المساعدة بل ويشاركهم في بعض الأحيان في مواجهة الأعداء وهذا ما قاله عنه الجندي **للبشير «يا للعباسي إنه رجل ممتاز واسع الصَّدر،كريم النَّفس نبيل المشاعر أتعرف إنه كان يساعد جميع المجاهدين في الجزائر ويقدم لهم الإعانات بكل الوسائل؟ بل لقد صعد إلى الجبل مرات عديدة وشارك في عدة اشتباكات »** [2].

معرفة **العباسي** لحقيقة أخيه **البشير** شكلت له صدمة لم يستطع تحملها فهو بمجرد علمه أن أخيه تنكر لأصله و خان وطنه وأهله قرر التَّخلي عنه واعتبره أنه لم يعد ينتمي إلى عائلته فكان يقول: **«أنا لن أجرأ من جديد على لفظ اسمه ولن أسمح لنفسي بالتَّقابل معه مرة أخرى إن كان ذلك ممكنا لقد سئمت أخباره وتصرفاته ومللت أعماله وأنباءه،إنه بالنّسبة لي غير موجود منذ هذه اللحظة نعم إنه غير موجود بالنِّسبة إلي إن كان يريد يوم أن يقدم إلى الجزائر،ويقول أن لدي أخًا سأذهب إليه لأراه وأتعاون معه فإنه سيكون مخطئا وسيكون قد أتعب نفسه وأشغلها من غير سبب ومن غير هدف،هذا هو ما عندي أنا وقد قلته »**[3] وهذا تماما ما فعله **العباسي** عند

- الرِّواية ، ص1.70
- م ن ، ص2.71
- الرِّواية ، ص3.155

رجوع **البشير** إلى البيت واستيقاظ وعيه فلقد ظلّ متماسكا بموقفه اتجاهه،فقرر هجران بيته وزوجته وأولاده أفضل من العيش مع أخيه تحت سقف واحد ورجوع وعيه واعترافه بالذّنب الذي اقترفه .

ليس الجزائريون وحدهم من تمسكوا بالهُويَّة بل نجد الفرنسيين متمسكين بهُويتهم الفرنسية ولم يتخلوا عنها مهما كانت الظُّروف وهذا ما حدث مع **فرانسواز** حبيبة **البشير** فهي المرأة التي أحبها بدون مقابل بل واعتبرها هي الملجأ الوحيد الذي يحس فيه بالرَّاحة والأمان بينما هي لم تحبه حب المرأة للرَّجل بل أحبته حب المستعمِر لمستعمَر وهذا إن دل على شيء إنما يدُلُ على تمسكها بهُويتها وأصلها الفرنسي،فهي لا تقوى على حب شخص من أصول جزائرية أخو المجاهدين الذين كانوا سببًا في مقتل زوجها والد ابنها على خلاف **البشير** الذي تجاهل كل شيء وأحب ابنة فرنسا التي سلبت منه كل ما هو غالي من أرض وثقافة ووالديه قرة عينه.

على الرَّغم من أن **البشير** أحب **فرانسواز** حبًا كبيرًا إلا أنها ظلت قوية مسيطرة على مشاعرها عازمة على أداء واجبها الوطني وإكمال عمل بلدها فرنسا ضد الجزائريين رغم تغيره لاسمه وارتدائه للزّي العسكري الفرنسي،فشجعته على نكران أصله وذاته العربية لأنها تعلم أن هذا النُّكران له أثار رهيبة على نفسيته فكانت تقوى بعذابه فتوصل بها الأمر أنها كانت على دراية بمرضه **السُّل** ولم تخبره لأنها كانت تتلذذ بعذابه وألامه وهذا ما نلمسه في اعترافها عند ذهابها له للمستشفى **«كنت أقوم بتجربة معك، كنت أريد أن أجرب كيف يعمى العاشق ويتيه في حب عشيقته وهو لا يعرف أن هذه الأخيرة تستلذ عذابه وتعيش على ألامه،إذ كان هو يذبل ويضمحل فهي تنعش وتقوى ومن هذا التَّناقض يعيش حبها ويزدهر غرامها هكذا يا جاك هو حبي »** [1] وهكذا ظهرت على حقيقتها البشعة فهي لم تكن تحبه حبًا خالصًا صادقًا،وإنما حبها له كان حبًا استغلاليا فيه نوع من السَّيطرة،وهذا تماما ما نلمسه في أسباب احتلال فرنسا للجزائر.

فرنسا لم تؤذي الجزائريين من النَّاحية الجسدية فحسب بل مارست عليهم كل أنواع التَّعذيب من النَّاحية النَّفسية أيضا،فقامت بتجهيلهم وتشجيعهم على نكران أصلهم ومحو معالم هُويتهم وهذا ما

---

[1] - الرِّواية ، ص202.

فعلته **فرانسواز** الصُّورة الطِّبق الأصل لفرنسا،إذ كانت تجربتها على **البشير** من النَّاحية النَّفسية متمثل في تشجيعه على نكران أصله وهُويته وهي تستلذ بهذا العذاب الذي يعانيه،مع العلم أن الآلام من النَّاحية النَّفسية أقوى بكثير من الآلام الجسدية،فالجروح الجسدية تختفي إذا ما وجد لها العلاج في حين أن الجروح النَّفسية تطول فترة شفاؤها وربما ينعدم دوائها أصلا فتبقى لها أثار بارزة على الشَّخص **ففرانسواز** مثلت فرنسا حيث فعلت **بالبشير** تماما ما فعله الغرب **فرنسا** بالشَّرق **الجزائر** وهذا يحيلنا إلى أن هذه المرأة فرنسية بالدَّرجة الأولى لم تتخل عن أصلها وجذورها الفرنسية حتى بعد أن وجدت إنسان يحبها ويعشقها **كالبشير**.

خاتمـــــــة

خاتمـة :

ارتبط مفهوم الهُويَّة في الأدب الجزائري عامة والرِّواية الجزائرية خاصة بالفترة الاستعمارية،إذ نجد الاستعمار عمل على تشويه الهُويَّة الجزائرية ومقوماتها وذلك بتجريد الشَّعب من مقوماته اللغوية والدِّينية والجنسية وحتى الملكية،ولكن رغم كل هذه الظُّروف هناك فئات من الجزائريين ظلوا أوفياء لوطنهم وحاولوا التَّمسك بمبادئهم وعاداتهم والمحافظة على هوايتهم،في حين هناك من تخلى عن هويَّته وانبهر بالثَّقافة الفرنسية وفضل الذَّوبان فيها والتَّمسك بها خاصة الذين جُنَّدوا في صفوف الجيش الفرنسي معتبرين ذلك التَّجنيد نعمة تمكنهم من الرُّقي والتَّطور والقضاء على التَّخلف والجهل الذي كانوا يعشونه في بلادهم الجزائر حسب رأيهم وهذا إن دل على شيء إنما يدل على السَّذاجة ونقص الوعي مع العلم أنه ليس كل المجندين في الجيش الفرنسي تخلوا عن هُويتهم و انبهروا بالآخر وهذا تماماً ما حاول الكاتب **محمد العالي عرعار** توضيحه من خلال روايته **"ما لا تذروه الرّياح"** التي استطعنا من خلال دراستها الوصول إلى مجموعة من النِّقاط:

- يعتبر البعد الثَّقافي والدِّيني واللغوي من أهم أسس الهُويَّة الجزائرية لكن هذه الأسس منعدمة في رواية ما لا تذروه الرّياح نتيجة تخلي بطل الرِّواية عن هويَّته.

- كشفت لنا الرِّواية العزلة النَّفسية التي يعيشها البطل نتيجة الشُّعور بالنُّقص والنّظر لنفسه أنه أقل قيمة من الآخر وهذا راجع لتنكره لأصله واختياره حياة لا تمد لأصله العربي بأي صلة.

- التَّأثيرات التي تعرض لها الشَّعب الجزائري من طرف الاستعمار والتَّجنيد الإجباري الذي فرضه على الجزائريين كان سببا في دفع الجزائري الضَّعيف الشَّخصية إلى التَّخلي عن هويَّته الأصلية.

- حملت شخصيات الرِّواية تقاسم الهُوية الجزائرية وقد تراوحت بين شخصيات محافظة عن هُويَّتها وشخصية منبهرة بالآخر الفرنسي متنكرة لأصلها العربي .

– التَّخلي عن الهُويَّة الأصلية والتَّمسك بهُويَّة الآخر ينتج عنه شعور الشَّخص بصراع داخلي نفسي لأنه يحس أنه أقل قيمة من الآخر الذي قلده،فينتج عن هذا الإحساس الوقوع في أزمة هويَّة فيصير على قناعة تامة بأنه مرفوض من قبل الجزائريين محتقر من قبل الفرنسيين وهذا ما يجعله يدرك أنه لا يحق له القول بأنه جزائري ولا فرنسي وهذا ما حدث لبطل رواية ما لا تذروه الرِّياح.

– يطول الزَّمان أو يقصر حتما سوف يأتي ذلك اليوم الذي يدرك فيه الشّخص المتنصل لهُويَّته أنه في طريق الهاوية لأنه يدرك أن الآخر لا يقدم له سوى الشَّهوات والملذات ويأخذ منه كل سعادة وبسمة وراحة بال.

– كشف **البشير** حقيقة الآخر في شخص **فرانسواز** لأنه إكتشف أنها لم تكن تحبه حب المرأة للرجل وإنما حب استغلال وحب السَّيطرة وهذا ما أدى **بالبشير** إلى الإدراك أن فرنسا ما هي إلا بلد السَّيطرة والقوة وهدفها الأسمى هو تجهيل الجزائريين ومحو أصالتهم وليس تثقيفهم والاعتراف بهم .

– نظرة الجزائري المنبهر بالثَّقافة الفرنسية لفرنسا أنها بلد الحرية والرُّقي بينما نظرة الفرنسي للجزائري أنه جاهل وهمجي،وهدفها هو القضاء على التَّخلف الذي ينتابه .

– رغم تقرب **البشير** من **فرانسواز** وإحساسه معها بالرَّاحة إلا أنه رفض الزَّواج بها وطلب منها مساعدته على الرُّجوع لوطنه وهذا لأن علاقته بها علاقة كاذبة مبنية على خداع فهدفه الوحيد هو التّمتع بمفاتن جسدها وهدفها هي هو دفعه لنكران أصله لكي تتمتع بهذا المشهد.

– إدراك **البشير** أن الآخر لا يقدم له الحل الشَّافي ولا السَّعادة الدَّائمة،فالحل لا يكون بالارتماء في حضن الآخر رغم ما يوفره من راحة وحرية ومن هنا كان لا بد على البطل الرُّجوع إلى الوطن.

– **البشير** لم يكن بطلاً حركي و إنما عاش مدة في فرنسا وهو ضائع تائه عاشق منبهر بالآخر.

– قدم لنا الرِّوائي من خلال روايته ما لا تذروه الرِّياح شخصيته **البشير** ليسلط الضَّوء على العناصر الرَّافضة لهُويَّتها المنبهرة بثقافة الآخر،مؤكدا في ذلك بأن المتخلي عن هُويَّته مصيره الرُّجوع إلى وطنه وطلب السَّمَاح من أهله لأنه يجد نفسه أنه يعيش صراعًا مريرًا بتخيله عن أصله وأن الآخر ما هو إلا

سبباً في ضياعه وتحطيمه ومرضه وأن شفاؤه لن يكون إلا في وطنه وسط عائلته وهذا تماما ما حدث **للبشير** الذي عاش كل أنواع الغواية والمهانة في الغرب مع اعتقاده في البداية أن ذلك هو الصَّحيح بينما في الأخير تفطن لكل هذا ورجع لوطنه وشفي من مرضه الخطير السُّل.

ملحـــــق

محمد العالي عرعار :نظرة على حياته ومؤلفاته

ولد **محمد العالي عرّعار** بمدينة **خنشلة** سنة 1946 في عائلة ميسورة الحال متعددة الأفراد،إذ نجد أنه على الرَّغم من الأمية التي كان عليها أبواه إلا أن جده لأمه كان شيخًا مدرسًا للقرآن،وأخواله متعلمون ما كان التَّعليم سائراً عليه إبان ذلك العهد (نهاية الحرب العالمية الثَّانية) من دراسة القرآن والحديث الشَّريف وبعض الدِّراسات اللغوية .

زاول الكاتب تعليمه النِّظامي في المدرسة الابتدائية وفي الكتاتيب وبدأت ميوله للغة العربية تتضح رغم ما كانت تخضع له المدرسة النِّظامية من تعليم باللغة الفرنسية،وسرعان ما انقطع عن الدِّراسة النِّظامية والتحق بالمدرسة الحرة التَّابعة لجمعية العلماء المسلمين بخنشلة،ونال الشَّهادة الابتدائية ليلتحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة ثم ثانوية ابن باديس،ونال منها شهادة البكالوريا التي أهلته للانتقال إلى العاصمة،كان ذلك إبان الاستقلال (أواخر السَّتينات) لمواصلة التَّعليم الجامعي فانتسب لكلية الحقوق ثم انقطع عن الدِّراسة بالكلية،ليدخل في تربص خاص بموظفي الشَّباب والرِّياضة،وانظم إلى سلك المربين العاملين بقطاع الشَّباب والرِّياضة[1].

كان **محمد عرعار العالي** ميالاً إلى الكتابة ولتَّأليف منذ المرحلة الثَّانوية ظهر هذا الميل في القصة أساسا أواخر السَّتينات من خلال مراسلاته لجريدة الشَّعب فكانت القصة الأولى بعنوان **زلة وتعزية** وأخرى حملت عنوان **التَّضحية** ثم الدِّراسات الأدبية منها ما كان على شكل ترجمة **صاحب العمدة وعمدته** عن **ابن رشيق** ودراسة عن كتاب سماه **الذّكر و الأنثى** أما في مجال الرِّواية فكانت المحاولة الأولى والتي لم يكتب لها النَّشر بعنوان **غروب وشروق** ثم تلتها سنة 1972 الرِّواية التي

1- منصور بوراس ، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية ، الطموح ، البحث عن الوجه الآخر ، زمن القلب ، مقارنة بنيوية ، بحث مقدم لنيل درجة الماجيستير ،2010 ، الجزائر ، ص17.

طبعت وهي **ما لا تذوره الرِّياح** وكان الكاتب متأثرًا في أدبه ببعض الأسماء **ككاتب ياسين** في **رواية نجمة** و**محمد ديب** في رواية **الحريق** و**النُّول** و**ملود فرعون** في رواية **ابن الفقير** [1]

وأعماله المنشورة هي أربع روايات ومجموعة قصصية واحدة:

- ما لا تذروه الرِّياح .
- الطُّموح.
- البحث عن الوجه الآخر.
- زمن القلب.
- العالم :مجموعة قصصية.

انقطع الكاتب عن التَّأليف الرِّوائي حوالي خمسة عشرة عامًا أي منذ سنة 1986 وهي السَّنة التي نشر فيها رواية زمن القلب ثم عاد إلى التَّأليف مرة أخرى فكانت الإبداعات التَّالية دون نشر.

المجموعات القصصية :

- الأرواح الشَّاغرة.
- تطلعات كذوبة.

الرِّوايات:

- النُّفوس الجائعة.
- سابق المجد.
-آمال زائفة.

1- منصور بوراس ، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية ، الطموح ، البحث عن الوجه الآخر ، زمن القلب ، مقارنة بنيوية ، مرجع سابق ، ص18.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم ، رواية وَرَشْ.

– المصـادر:

1– محمد العالي عرعار ، ما لا تذروه الرّياح ، الشَّركة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع ، الجزائر ، د ط ، د ت.

– المعاجم:

1– أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، مج 1 ، ط1، 2008.

2– إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات والشّواهد الفلسفية ، التَّعاضدية العمالية للطِّباعة والنَّشر، صفاقص ، تونس ، ط1 ، 1986.

3– جلال الدِّين سعيد ، معجم المصطلحات والشَّواهد الفلسفية ، دار الجنوب ، تونس ، د ط 2004.

4– مجمع اللغة العربية ، معجم الوجيز ، وزارة التَّربية والتَّعليم ، مصر ، د ط ،1994.

5– مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، مكتبة الشُّروق الدُّولية ، مصر ، ط4 ،2004.

6– محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، الميزان للنَّشر والتَّوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1998.

7– ميجال الرّويلي ، سعيد البازعي ، دليل النَّاقد الأدبي (إضاءة أكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا) المركز الثَّقافي العربي ، الدَّار البيضاء ، المغرب ، ط3 ، 2006.

8– المجند في اللغة والأعلام ، نسخة الكترونية.

قائمة المراجع:

المراجع العربية :

1- أحمد بلعبكي وآخرون ، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ، بيروت ، ط1 ، 2013.

2- أحمد درويش ، إنقاذ اللغة ، إنقاذ الهوية ، تطور اللغة العربية ،نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، ط1 ، 2006.

3- أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته وتطوره وقضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ، 2006.

4- أمين الزَّاوي ، عودة الأنتلجنسي ، المثقف في الرِّواية المغاربية ، النَّايا للدراسات والنَّشر والتَّوزيع ، دمشق ،سوريا ، ط1 ، 2009.

5- بسام بركة وآخرون ، اللغة والهُوية في الوطن العربي ، إشكالية التَّعليم والتَّرجمة والمصطلح المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات ، بيروت ، ط1 ، 2013.

6- رمزي منير بعلبكي وآخرون ، اللغة والهوية في الوطن العربي ، إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات ، بيروت ، ط1 ، 2013.

7- عباس الجراري ، هويتنا والعولمة ، النَّادي الجراري ، الرِّباط ، د ط ، 2002.

8- عبد الرَّحيم محمد عبد الرَّحيم ، دراسات في الرِّواية العربية ، دار الحقيقة للإعلام الدُّولي ط1، 1990.

9- عبد السَّلام عبد العالي ، هايدغر ضد هيغل ، التُّراث والاختلاف ، دار التَّنوير للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002.

10- عبد السَّلام المسدي ، الهوية العربية والأمن اللغوي ، المركز العربي المعاصر للأبحاث ودراسة السِّياسات ، بيروت ، ط1 ، 2014.

11- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرِّواية ، بحث في تقنيات السَّرد ، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1998.

12- عبد المجيد حنون ، صورة الفرنسي في الرِّواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر د ط ، د ت.

13- علي بن محمد الشّريف الجرجاني ، التَّعريفات ، مكتبة لبنان للنشر والتَّوزيع ، د ط ، د ت .

14- محمد صالح الهرماسي ، مقاربة إشكالية الهوية بالمغرب العربي المعاصر ، دار الفكر ، دمشق د ط ، 2001.

15- محمد عبد الرؤوف عطية ، التَّعليم وأزمة الهوية الثَّقافية ، مؤسسة طيبة للطباعة والنَّشر ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2009.

16- محمد مصايف ، الرِّواية العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، الدَّار العربية للكتاب د ط ، 1983.

17- محمد نهران ، مدخل إلى المنطق الصُّوري ، دار الثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع ، القاهرة ،د ط ،1994.

18- محمد الزّحيلي ، وظيفة الدِّين وحاجة النَّاس إليه ، جمعية الدَّعوة الإسلامية العالمية ، دمشق ، د ط ، 1991.

19- مصطفى بن تمسك وآخرون ، السُّؤال عن الهُوية في التَّأسيس والنَّقد والمستقبل ، تونس ، ط1، 2016.

20- مصطفى فاسي ، دراسات في الرِّواية الجزائرية ، دار القصبة للنَّشر ، د ط ، د ت.

21- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرِّواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط 1986.

22- السَّعيد الورقي ، اتجاهات الرِّواية العربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د ط، 1997.

– المراجع المترجمة:

1- إلـــيكس ميكشـــيللي، الهويـــة ، تـــر :علـــي وطفـــة ، دار الوســـيم للخـــدمات والطِّباعة ، دمشق ، ط1، 1993.

2- جون جوزيف ، اللغة والهوية قومية ، اثنية دينية ، تر: عبد النُّور خراقي ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د ط ، 1978.

3- هارلمس وهولبورن ، سوسيولوجيا الثَّقافة والهوية ، تر: حاتم حميد محسن ، دار كيوان للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2001.

– المخطوطات الجامعية:

1- بن علي الحاج ، تمظهرات الآخر في الرِّواية العربية المعاصرة ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة وهران ، الجزائر ، 2009.

2- جبور أم الخير ، الرِّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، دراسة سوسيو نقدية ، أطروحة لنيل شهادة الدُّكتورا في النَّقد الأدبي الحديث ،كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2010، 2011.

3- صليحة بريدي ، التَّأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ،كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة حسبية بن بوعلي، الشلف ، 2012؟2011.

4- فاطمة الزَّهراء كوسة ، أزمة الهوية عند الشَّباب الجزائري ، دراسة استكشافية ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علم النَّفس العيادي ، الجزائر ، 2005.

5- منصور بوراس ، البناء الرِّوائي في أعمال محمد العالي عرعار الرِّوائية ، الطُّموح ، البحث عن الوجه الآخر ، زمن القلب ، مقاربة بنيوية ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، الجزائر ، 2010.

- المجلات و المنشورات و الملتقيات:

1- أحلام معمري ، نشأة الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، مجلة الأثير ، الجزائر ، العدد 20 ، جوان 2014.

2- سعاد بضياف ، لبوخ بوحملين ، أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية ، مجلة الأثر ، العدد 25 جوان2016.

3- صالح مفقودة ، أبحاث في الرّواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة و الأدب العربي.

4- عبد القادر الشّريف بموسى ، المنهج النّفسي وتطبيقاته على الرّواية الجزائرية ، السّادية في علاقة الشّرق بالغرب في الرّواية الجزائرية ، مجلة طنجة الأدبية ، المغرب ، العدد 51 ، 2013.

5- فتيحة كركوش ، إشكالية بناء الهوية النّفسية والاجتماعية ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، بليدة ، الجزائر ، العدد 16، سبتمبر2016.

6- فوزية براهيمي ، الشّخصية الرّوائية و هاجس(الوطن ،الهُوية،الثّورة) في الرّواية الجزائرية ، الملتقى الوطني ، الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة ، 13-14 ماي 2012 ، جامعة 8 ماي 1945 ، قالمة ، الجزائر.

7- محمد سعدي ، الهُوية من الوحدة إلى التّعدد "تغيرت مفاهيمها محليا ووطنيا ودوليا" آفاق المستقبل المغرب ، العدد07 ، سبتمبر- أكتوبر، 2010 .

8- محمد هادي مرادي وآخرون ، لمحة عن ظهور الرّواية العربية وتطورها ، دراسات الأدب المعاصر السّنة الرابعة ، شتاء ، 1391 ، العدد16.

9- الحسين آيت باحسين ، الهوية في علاقته بالأمازيغية لغة وثقافة وحقوقا ، سلسلة الدّراسات الأمازيغية حول خطاب الهوية بالمغرب (أشغال النّدوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرّباط للثّقافة الأمازيغية) ، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتّبادل الثّقافي ، دار البيضاء ، مارس ، 2009.

المواقع الالكترونية :

1- خضر عباس ، الأنا والآخر بين الفلسفة والسيكولوجيا 2013/01/16

Drabbass.wordpress.com

2- صالح يوسف بن قربة ، مقدمة لدراسة الملابس المغربية والأندلسية في العصر العباسي من خلال المصادر التَّاريخية والأثرية ، 24 أفريل 2014. wwwattaarikh.abarali.ma

3- عبد العزيز بن عثمان التويجري ، الحفاظ على الهوية والثَّقافة الإسلامية في إطار الوحدة المتكاملة، 2001 ، 2003 . www.islamtoday.net

4- محمد حميد الصَّواف ، عادات الشُّعوب ، تمسك بالتُّراث لديمومة الهوية ، الخميس 07كانون الثاني ، 2010. www.annaba.org

5- مصطفى الزَّاهيد ، الشَّخص والهوية الشَّخصية ، رنيه ديكارت ، جون لوك ، أرثر شوبنهاور الأربعاء ، 26 أكتوبر 2016 ،01:26. ala gorphilo blogspot.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

- شكر وعرفان.
- الإهداء.
- مقدمة..... أ ب ج د.

– مدخل : الرِّواية العربية النَّشأة والتَّطور.....06–21.

- تمهيد.....06.

3- مفهوم الرِّواية.....07-08.

4- نشأة الرِّواية العربية.....09-11.

أ- الرِّواية في مصر.

ب- الرِّواية في تونس.

ج-الرِّواية في المغرب الأقصى.

د-الرَّواية في ليبيا.

3-نشأة الرِّواية الجزائرية.....12-21.

أ– الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية.....12-15.

ب– الرِّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....16-21.

– الفصل الأول :مفاهيم الهُويَّة.....23–44.

1- ماهية الهُويَّة.....23-28.

2- تطور مفهوم الهُويَّة.....29-31.

3- أسس الهُويَّة.....31-39.

ت- اللغة.

ث- الدِّين.

ج-التَّاريخ.

د- الثَّقافة.

هـ- الأزياء.

4- العوامل المساهمة في حدوث مشكلة في هويَّة الفرد:ثنائية الأنا والآخر.....40-44.

ت- مفهوم الأنا.

ث- مفهوم الآخر.

الفصل الثاني : تجليات أزمة الهُويَّة في رواية ما لا تذروه الرّياح.....**46-81**.

- تمهيد.....46-47.

1- ملخص الرِّواية.....48-50.

2-الشَّخصية البطلة وتنصلها للهُويَّة الجزائرية.....51-63.

3- حدوث أزمة الهُويَّة عند الشَّخصية البطلة.....64-68.

4- عودة الوعي للشَّخصية البطلة.....69-73.

5- بين الأنا والآخر.....74-75.

6- تمثيل الهُويَّة الجزائرية في الرِّواية.....76-81.

- **خاتمة**.....84-86.

- **الملحق**.....88-89.

- **قائمة المصادر والمراجع**.....91-96.

فهرس المحتويات.....98-99.

ملخص الدِّراسة:

تناولت الرِّواية الجزائرية العديد من المواضيع المختلفة المرتبطة بالواقع الإنساني من بينها نجد موضوع الثّورة التَّحريرية ووقائع الكفاح الجزائري في مواجهة الاستعمار الذي حاول طمس معالم الهُويَّة الجزائرية وترسيخ مبادئ ثقافته في أذهان الجزائريين،مبرزا في ذلك الآثار السِّلبية المتمثلة في الصِّراع الدَّاخلي وأزمة الهُويَّة نتيجة تخلي الجزائري عن أصله وتنصله لهُويته وانبهاره بالآخر الفرنسي،وهذا ما حاولت توضيحه من خلال دراستي لرِواية **ما لا تذروه الرّياح لمحمد العالي عرعار** التي سلطت الضَّوء على هذا النَّوع من العناصر التي تخلت عن أصلها وجزائريتها نتيجة انبهارها بالمستعمر فكان موضوع مذكرتي **أزمة الهُويَّة ودلالتها في رواية ما لا تذروه الرِّياح لمحمد العالي عرعار**.

Résume

- Le récit traité divers sujets et surtout ceux qui ont une relation avec le vécu humain parmi ceux la celui de la révolution de libération et les évènements (faits) en confrontation avec le colonialisme qui a essayé d'effacer ou même de déraciner les repères de l'identité algérienne et a la place d'ancrer on d'enraciner et sa propre culture dans le mental des algériens, ceci engendre des conséquences néfaste, comme les conflits internes et la crise identitaire dus à la démission des algériens et son abandon de ses origines et son éblouissant par l'autre français.

Ce que j'ai voulu éclaircir par ma modeste contribution concernant.

Le récit autant en emport le vent de Mohamed el Ali arar est de mettre en évidence.